

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

على الرغم من أن الكتابات التقليدية حول السياسة الخارجية قد درجت بشكل واضح على اعتماد النهج العقلاني، أي الاعتماد في تفسير السياسة الخارجية على الدور الحاسم للمتغيرات النسقية الخارجية، غير أن واقع الأمر يشير إلى أن الهيكل السياسي الداخلي للدولة و بنية التفاعلات و العمليات السياسية الداخلية إضافة إلى خصائص القادة السياسيين كل هذه العوامل يرى فيها أصحاب تفسيرات البيئة الداخلية أن لها دورها في بلورة السياسات الخارجية للدول، و بالتالي لها مكانتها و قيمتها التحليلية و التفسيرية المعتبرة خاصة بعد نهاية الحرب الباردة حيث زالت التبريرات الإيديولوجية التقليدية للسياسة الخارجية للدول العظمى، و ينسحب هذا الرأي بشكل أكبر على الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها أكبر دولة ديمقراطية، و القطب الدولي الأهم عالمياً في ظل النظام الدولي الجديد .

و من المحتم أن تتأثر السياسة الخارجية في الدول الديمقراطية بالحقائق المحلية، بل إن أكثر الواقعيين تشددا و تمسكا بمرتكزات التفسير الواقعي (أمثال: كيسنجر، برجينسكي، والتز...) قد بدؤوا يعترفون بأن المصالح القومية تشكل في البيئة الداخلية الديمقراطية، و حسب ويليام كوانت فإن الواقعيين يعرفون دائما بأن السياسة الخارجية الأمريكية ضاربة بجذور عميقة في طبيعة النظام السياسي الداخلي، و على أن ذلك ليس من قبيل القبول بأن الحياة السياسية المحلية هي التي تقرر سلوك الولايات المتحدة في الشرق الأوسط أو في أي مكان آخر في العالم، و مع ذلك فإنها — أي الحياة السياسية المحلية — توفر الإطار الذي تتخذ القرارات في حدوده، و تضع بعض قواعد اللعبة⁽¹⁾، فمتغيرات البيئة الداخلية الموضوعية و الذاتية تساهم بشكل أو بآخر و بدرجات متفاوتة في صياغة قرارات السياسة الخارجية كما أنها تحدد من الذي سيكون مسؤولاً عن هذه القرارات على المستوى الرسمي .

(1) ويليام كوانت، أمريكا والعرب وإسرائيل: عشر سنوات حاسمة (1967-1976)، ترجمة: عبد العظيم عواد، الطبعة الأولى. دار المعارف، دم ن، 1980، ص 26.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و إذا نظرنا إلى محددات البيئة الداخلية في إطار عام نجد أنها تتكون من عناصر عديدة يصعب حصرها جميعها في هذه الدراسة، وليس من أهداف دراستنا أساسا مسح جميع المتغيرات البيئية الداخلية الأمريكية، خاصة وأن بعض المحددات الداخلية لا تدخل في تفسير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي كالمحدد الجغرافي الأمريكي مثلا.

و لأن ما نهدف إليه في هذا الفصل هو البحث في مدى صحة الفرضية النظرية التي تعترف بدور متغيرات البيئة الداخلية في فهم وتفسير السياسة الخارجية، نرى أنه يكفي لأجل ذلك أن يركز بحثنا في هذا السياق على ما تم اعتماده في إطار النظري لهذه الدراسة، وبناء على ذلك ارتأينا تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: دور المحددات الداخلية الرسمية

المبحث الثاني : دور المحددات الداخلية غير الرسمية

المبحث الأول : دور المحددات الداخلية الرسمية

أشرنا فيما سبق و تحديدا في الفصل الأول إلى البنى الرسمية في عملية السياسة الخارجية الأمريكية و التي تمثلت أساسا في الدور الذي يلعبه كل من الرئيس والكونغرس الأمريكيين، و من المهم في هذا المقام أن نشير إلى أن النظام السياسي الأمريكي يتميز باستقرار فريد من نوعه يندر أن نجده في نظام سياسي آخر في العالم، حيث يجري التداول على السلطة بسلاسة و انتظام بين حزبين كبيرين لا ثالث لهما، و يبدو التباين بين إيديولوجيات و برامج و سياسات و مواقف هذين الحزبين واضحا بالنسبة لقضايا الداخل بأكثر مما يبدوا بالنسبة لقضايا الخارج، و من المعروف بأن الحزب الجمهوري أكثر ارتباطا بقضايا الشرائح و الفئات العليا في المجتمع الأمريكي و أكثر تعبيرا عن مصالحهم خاصة فئة كبار الملاك ورجال الأعمال و الشركات الكبرى، بينما يبدو الحزب الديمقراطي أكثر ارتباطا بالفئات و الطبقات المتوسطة و الفقيرة، و تعبيرا عن مصالحهم و طموحاتهم، لذلك و حسبما يرى الأستاذ حسن نافعة فإن عوامل الاستمرار في السياسة الخارجية الأمريكية عموما تتفوق على عوامل التغير أو القطيعة⁽¹⁾ ، و بالتالي فإنه لا توجد فجوة واسعة بين رؤية هذين الحزبين الكبيرين للمصالح الأمريكية على المستوى العالمي أو في منطقة الشرق الأوسط، و هذا بدوره ينطبق على كل من الرئيس و الكونغرس و مواقفهما في السياسية الخارجية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي بحكم أن أفراد السلطتين التشريعية و التنفيذية هم في الأصل أعضاء من الحزبين الجمهوري و الديمقراطي.

من جهة أخرى و في إطار تفسيرات البيئة الداخلية فإن واقع عملية السياسة الخارجية الأمريكية لا يعكس بالضرورة فكرة العقلانية في صنع القرار بقدر ما يعكس إدراك صانعي القرار للموقف و القضايا المختلفة التي يواجهونها و يتعاطون معها، بمعنى أن صانعي السياسة الخارجية في بعض الأحيان يتصرفون وفقا لإدراكهم للواقع و ليس استجابة للواقع نفسه كما هو، و ذلك على الرغم من أن إدراكهم هذا

(1) حسن نافعة، وجهة نظر في الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي، مرجع سابق، ص77.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

قد يكون مشوها أو غير كامل⁽¹⁾، إضافة إلى أن المتغيرات الخارجية التي تفترض عقلانية مواقف السياسة الخارجية تصطدم بضغط و مطالب البيئة الداخلية الموضوعية و الذاتية على المؤسسات التنفيذية و التشريعية، و بالتالي تؤثر على تصور و إدراك صناع القرار الرسميين وهذا ما ينعكس بدوره على السياسة الخارجية للدولة من خلال صانعي القرار فيها.

المطلب الأول : الرئيس الأمريكي و السياسة الخارجية تجاه الصراع العربي

الإسرائيلي

من المعروف أنه من الناحية الدستورية نجد أن الرئيس الأمريكي – الذي ينظر إليه كمؤسسة – يتمتع بمجموعة من السلطات و الامتيازات التي تسمح له بأن يلعب دورا أساسيا وحاسما في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال حقه في المبادرة و اقتراح السياسات، كما تمنح له كل السلطة التنفيذية لتنفيذ التشريعات و تنفيذ السياسات، إضافة إلى اعتباره القائد العلى للقوات المسلحة، و في هذا الإطار تعتبر القوى المشكلة لمؤسسة الرئاسة الأمريكية سواء فراد أو مؤسسات تابعة للسلطة التنفيذية للرئيس، لذا فإن هذه السلطات المخولة للرئيس الأمريكي سمحت له بأن يلعب الدور البارز في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي^(*)

أولا: جورج بوش و الصراع العربي الإسرائيلي

قبل أن يكون جورج بوش رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية في جانفي 1989 كان مديرا للمخابرات المركزية و رئيسا للبعثة الدبلوماسية الأمريكية في الصين، و سفيرا لدى الأمم المتحدة، كما أمضى ثماني سنوات نائبا للرئيس رونالد ريغان مع اضطلاعهم بمسؤوليات خاصة بمجلس الأمن القومي و تحديدا فيما يتعلق

(1) هالة أبو بكر سعودي، مرجع سابق، ص 139.
(*) حول منظور الدور القيادي للرئيس الأمريكي في ميدان السياسة الخارجية، يقدم **ويليام كوانت** شرحا مفصلا للأهمية البالغة لهذا الدور من عدة جوانب موضوعية و ذاتية . انظر : **ويليام كوانت ، أمريكا و العرب و إسرائيل: عشر سنوات حاسمة، (1976-1967)**، مرجع سابق، ص ص 545- 555 .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

بإدارة الأزمات. و إضافة إلا أنه كان من عائلة سياسية حيث سمح له نشاطه السياسي بأن يتم انتخابه عضوا في الكونغرس، و كان جورج بوش كذلك رجل أعمال ناجح في ميدان النفط في تكساس، و الرئيس القومي للحزب الجمهوري (1).

فالإطلاع على السجل الشخصي لهذا الرئيس يدل على أنه كانت له مؤهلات كبيرة و خبرة سياسية واسعة، و نظرا لانتمائه للمدرسة الواقعية كان بوش يرى أن على قادة الولايات المتحدة الاستمرار في السعي نحو الهيمنة العالمية، و بالتالي يجب تبني سياسة خارجية نشطة من أجل تعظيم المصالح القومية الأمريكية مع التركيز بشكل أساسي على فكرة الحفاظ على الوضع الراهن وفق نظرة براغماتية تستند إلى محورية الدولة و توازن القوى. و لا شك أن هذه الخلفية المتعددة الجوانب كان لها أثرها على توجه هذا الرئيس الجمهوري نحو منطقة الشرق الأوسط و موقفه من قضية الصراع العربي الإسرائيلي .

مع بداية ممارسة إدارة بوش لمهامها كان يُنظر إلى هذه الإدارة على أنها الأكثر توازنا بشأن القضية الفلسطينية، و أنها ستكون داعمة لتسوية عادلة و منصفة للصراع العربي الإسرائيلي، و يعود سبب ذلك إلى أن جورج بوش عندما كان نائبا للرئيس ريغان كانت توجهاته لا تتوافق مع السياسة الإسرائيلية، و كان غالبا ما ينصح رئيسه بالتشدد مع إسرائيل نتيجة سياستها في المنطقة، غير أن سياسة الحفاظ على الوضع الراهن التي انتهجها بوش جعلته يحافظ على النسق التاريخي لسياسة الولايات المتحدة نحو الصراع العربي الإسرائيلي، و نتيجة لذلك رفض حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، و حقه في دولة مستقلة و في اختيار من يمثله، لقد تسمك الرئيس الأمريكي و معه وزير خارجيته جيمس بيكر بالرفض التقليدي للحقوق الفلسطينية (2)، و قد أفصح جيمس بيكر عن الموقف الأمريكي الرسمي في

(1) ويليام كوانت، **عملية السلام: الدبلوماسية الأمريكية و النزاع العربي الإسرائيلي منذ 1967**، مرجع سابق، ص 527.

(2) تشريل روبنبرغ، مرجع سابق، ص ص 269-270 .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

خطاب أمام لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية في ماي 1989 حيث صرح قائلاً:

" .. إن الرئيس بوش يعتقد كما اعتقد أنا أنه لا يوجد سوى سياسة واحدة ألا وهي الاستمرارية، و الدعم الأمريكي لإسرائيل هو أساس مقتربنا في الشرق الأوسط "

و بعد شهر واحد من هذا الخطاب أرسل بوش رسالة إلى إسحاق شامير — رئيس الوزراء الإسرائيلي — يثني فيها على تصريح بيكر⁽¹⁾ ، كما أكد هذا الأخير على أن وجود تقارب أو حوار بين الولايات المتحدة الأمريكية و منظمة التحرير الفلسطينية لا يعني بناتا التشكيك في الدعم الأمريكي المستمر لإسرائيل.

و عندما يُنظر في بعض الأحيان إلى إدارة بوش على أنها تختلف مع إسرائيل بسبب طبيعة ممارسات هذه الأخيرة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بحيث تبدو العلاقات الأمريكية الإسرائيلية دون مستوى التحالف الإستراتيجي المعروف خاصة ما كان في الخطاب الأمريكي الذي أظهره بوش بخصوص طلب ضمانات القروض المطلوب تقديمها من طرف الولايات المتحدة لإسرائيل و ربطها بوقف هذه الأخيرة لعملية بناء المستوطنات، فمثل هذه المظاهر و نتيجة التضخيم الإعلامي يصبح ظاهراً أن العلاقة بين تل أبيب و واشنطن متوترة، غير أن المشكلة في واقع الأمر و حسب تشريل روبنبرغ مشكلة شخصية أكثر منها سياسية، إذ م يكن بوش يُكن وُدا لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير الذي كان يتخذ موقف التحدي المكشوف لسياسة الولايات المتحدة الرسمية⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك فإن إدراك إدارة بوش للتهديدات الحاصلة في الشرق الأوسط و تأثيرها على المصالح النفطية الأمريكية جعلها تتخذ بعض المواقف غير المسبوقة و التي تظهر على أنها ضد إسرائيل و في صالح الجانب العربي و الفلسطيني، و يتعلق ذلك بعدم الاعتراض الأمريكي على قرار المجلس رقم 681 الذي يستنكر قيام

(1) نفس المرجع، ص ص 280، 281 .

(2) نفس المرجع ، ص 301.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

إسرائيل بإبعاد بعض الفلسطينيين، كما أن إدراك بوش لتأثير الصراع العربي الإسرائيلي على المصالح النفطية خلال حرب الخليج الثانية لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى حقيقة أن بوش نفسه يعتبر واحداً من كبار رجال الأعمال في ميدان النفط، وهذا ما يجعله أكثر حساسية لخطورة التهديدات التي يمكن أن تنتج عن تصاعد حدة الصراع العربي الإسرائيلي.

و مع انتهاء تهديدات حرب الخليج و النصر الذي حققه بوش باتت المصالح الأمريكية و الحليف الإسرائيلي أكثر أمناً، و مع تأكيد إدارة بوش من ذلك عادت حالة الاستمرارية و الاستقرار للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية، و عاد اهتمام بوش و بيكر بالصراع العربي الإسرائيلي بعد إدراكهما أن نهاية الحرب الباردة و هزيمة العراق قد خلقت فرصة جديدة لنجاح الدبلوماسية الأمريكية في إيجاد أرضية لحل هذا الصراع عن طريق فرض التصور الأمريكي و الإسرائيلي لعملية السلام، إلا أن هذا الإدراك كان خاطئاً، إذ أن استمرار بوش في إنكار حقوق الشعب الفلسطيني كان عائقاً أساسياً في وجه تحقيق سلام حقيقي في المنطقة، و لو أن بوش و بيكر ركزا على هذه النقطة لاستطاعا أن يحققا خطوة حقيقة و إيجابية إلى حد كبير على طريق السلام بين الطرفين العربي و الإسرائيلي، و رغم ذلك فإنه يُحسب لإدارة بوش إنجاز مؤتمر مدريد للسلام الذي سيسمح لإدارة بيل كلينتون فيما بعد بتجاوز تحدي صياغة سياسة خارجية جديدة تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، إذ في الإمكان العمل ضمن الإطار الذي خلفه كل من بوش و بيكر للوصول إلى تحقيق اتفاقيات ملموسة و عملية على مسار السلام العربي الإسرائيلي الذي رسمه مؤتمر مدريد.

ثانياً: بيل كلينتون و الصراع العربي الإسرائيلي

قبل أن يصل إلى رأس السلطة في الولايات المتحدة كان بيل كلينتون قد قاد حملة انتخابية قوية في مواجهة بوش، ضمَّنها توجهاته الاقتصادية المحضة من خلال تركيزه الواضح على ضرورة الإصلاح الداخلي و الاهتمام من جديد بقضايا الشعب الأمريكي الداخلية الملحة و المتفاقمة، كما استغل الضغوطات التي مارسها بوش

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

على إسرائيل أثناء حرب الخليج لينتقد هذا الأخير و يقدم نفسه كداعم و منصف للطرف الإسرائيلي، و قد بنى كلينتون شهرته على خبرته في معالجة القضايا الداخلية إذ ليس له أي تجربة في ميدان السياسة الخارجية مما يجعله بحاجة إلى خبراء في السياسة الخارجية عندما يصبح رئيسا حتى يتمكن من إدارة الشؤون الخارجية للدولة في حجم الولايات المتحدة، و يحافظ على أمنها القومي متعدد الأبعاد، لذلك فإن هناك عدة عوامل ستتحكم في تحديد التوجهات العامة للسياسة الخارجية الأمريكية بما في ذلك السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، وأهم هذه العوامل:

- 1. خبرة كلينتون الشخصية في السياسة الداخلية و النابعة من انتمائه للحرب الديمقراطية و اهتمامه الكبير بقضايا الداخل مع تجربة محدودة أو تكاد تكون منعدمة في مجال السياسة الخارجية، و هذا ما يجعله في حاجة لسد هذا النقص المهم، و بالتالي ستكون الأهمية البالغة لنوعية التعيينات التي سيجريها في المناصب و الوزارات المسؤولة عن السياسة الخارجية و الدفاع و الاقتصاد و العلاقة بين هذه الوزارات و نوعية اللجان المشتركة التي تعمل في إطار مجلس الأمن القومي.**
- 2. البرنامج السياسي و الاقتصادي الذي طرحه بيل كلينتون في حملته الانتخابية، و المطالب بالعمل على تطبيقه عندما يصبح رئيسا.**
- 3. طبيعة و وضعية القاعدة العسكرية و السياسية و الاقتصادية التي تطورت منذ اثنتي عشر سنة من غياب الحزب الديمقراطي عن الحكم، و قد كان أهم نتائج ذلك تفاقم الديون الداخلية و الخارجية و العجز في الميزانية و تراجع القدرة التنافسية و انخفاض الاستثمار في الصناعة إلى أقل نسبة بين الدول الصناعية المتقدمة (1).**

بالنسبة لشخصية بيل كلينتون فإنه متى تعرفنا إليها يمكننا فهم المقدرات و المفاهيم التي سيحكم من خلالها و كيف ينعكس ذلك على سياسته الخارجية، لذلك فقد كان نجاحه في الانتخابات الرئاسية يعكس دوره و براعته في تسخير آليات الديمقراطية و مبادئها التي يحملها لصالحه، و لعبت بذلك خبراته الحزبية

(1) مروان بشاره، بيل كلينتون: الحملة، الإدارة و السياسة الخارجية، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1993، ص ص 11- 12 .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و قدراته السياسية دورا كبيرا في استقطاب قيادة الحزب الديمقراطي، والحصول على تأييد قطاعات مهمة في المؤسسة الاقتصادية الأمريكية، و هذه العلاقات التي نسجها **كلينتون** تفسر الدعم المالي و المؤسسي الذي حصل عليه عندما قرر خوض معركة الرئاسة، خاصة الدعم الذي تلقاه من القطاع الخاص و جماعات المصالح الفئوية و على رأسها اللوبي اليهودي⁽¹⁾، و لم ينعكس هذا الدعم في الأموال التي رُصدت لدعم الحملة الانتخابية بشكل عرَضِي بل تعدها ليؤثر بصورة واضحة في التركيبة البشرية لمؤسسة الرئاسة الأمريكية فيما بعد.

يذهب **جو ستورك** إلى أنه لم يكن لدى **كلينتون** نفسه آراء شخصية متشددة بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، فهو لم يكن يحمل غيره **رونالد ريغان** المناصرة للصهيونية، و لا **ميول بوش** و **بيكر** النفطية، لذا بوصلة السياسة الشخصية في هذا الشأن توجهها اعتبارات نفعية فحسب، و قد تأثرت بحقيقة أن المتبرعين اليهود قدموا ما يقدر بـ: 60% من أموال الحملة الانتخابية من غير المؤسسات الأخرى أكثر من تأثرها بأي قناعة قوية بشأن إسرائيل⁽²⁾، غير أن التعيينات التي أجراها **بيل كلينتون** جعلته ينصف ضمن الرؤساء الأمريكيين الأكثر تأييدا لإسرائيل، خاصة إذا علمنا أن 85% من أصوات اليهود ذهبت إلى **كلينتون**⁽³⁾.

و فضلا عن ذلك فإنه لم يسبق أن شغل محيط الرئيس الأمريكي عدد كبير من المساعدين و المستشارين اليهود و الموالين لإسرائيل كما حدث مع **بيل كلينتون**، بداية من نائبه **آل غور** الذي يعرف عنه أنه مؤيد قوي لإسرائيل، و قد عين **كلينتون** بنفسه **ليس آسن** و **زيرا للدفاع** و **جيمس وولزي** رئيسا لوكالة المخابرات المركزية، و كلاهما جاء يحمل شهادات تزكية تنطق بخدماته السابقة في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى و المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، إضافة إلى **وارن كريستوفر** وزير الخارجية و **أنطوني ليك** مستشار الأمن القومي اللذان يحملا مواقف مؤيدة لإسرائيل منذ عملهما في إدارة **جيمي كارتر**.

(1) أنظر : نفس المرجع ، ص ص 14- 15.

(2) جو ستورك، مرجع سابق، ص ص 308- 309.

(3) مروان بشارة، مرجع سابق ص 107.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و ما يبدو هو أن هذه الإدارة عازمة على تنفيذ جدول أعمال الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية بطريقة لا تتحدى إلا بأقل قدر ممكن الوضع القائم الذي يتعلق أمره بإسرائيل، و كانت هذه رسالة كلينتون إلى الإسرائيليين و أنصارهم في الولايات المتحدة حين عين اليهودي **مارتن أندريك** في قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي و **صموئيل لويس** — و هو يهودي آخر — في قسم التخطيط الاستراتيجي في وزارة الخارجية (1).

إن هذه التعيينات خاصة في أهم أربعة مناصب حساسة في مؤسسة الرئاسة الأمريكية أنبأت بمجموعها بأن مصالح إسرائيل ستحظى بأقصى اعتبار، و أنه فقط على إسرائيل أن تسعى للحصول على أحسن صفقة ممكنة من الفلسطينيين بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، و قد قال **مارتن أندريك** — المدير السابق للبحوث والدراسات في منظمة اللوبي الإسرائيلي الرئيسية **أيباك** — أنه على الولايات المتحدة ألا تكون متوازنة (أي محايدة)، إنما الأحرى أن تقنع الفلسطينيين بقبول المواقف التي تطرحها إسرائيل (2).

لقد كانت هذه التعيينات جزءاً من الوفاء بالوعود التي أطلقها كلينتون لصالح إسرائيل في حملته الانتخابية، مستغلاً استياء أوساط يهودية واسعة من لهجة بوش مع تل أبيب خلال أزمة الخليج لينتقد الإدارة السابقة بسبب ممارستها ما يعتبره ضغوطاً على حليف الولايات المتحدة الإسرائيلي و الديمقراطي، و قد جاء في رسالة بعثها إلى الناحيين اليهود يطلب دعمهم ما حَرفيته:

" .. نعم إسرائيل و أمريكا على منعطف الطريق اليوم... نطلب منكم دعماً مالياً سخياً..، إن بوش يستطيع أن يجمع الملايين بدعوة أصدقائه الأغنياء إلى العشاء،... هل تساعدوني على إرجاع المنطق إلى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية؟... الرجاء أجيئوا اليوم و كونوا كرماء، أقسم أنني إذا انتخبت رئيساً فلن أخيب أمل إسرائيل أبداً " (3).

(1) جو سنورك، مرجع سابق، ص 309.

(2) نفس المرجع، ص 310.

(3) مروان بشارة، مرجع سابق، ص 106.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

لقد كان السلوك السياسي لـ: بيل كلينتون مبنياً على ركيزتين أساسيتين أثرتا إلى حد كبير على طبيعة سياسته الخارجية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، الأولى هي قلة خبرته على المستويات العليا بسبب ابتعاد حزبه عن السلطة مدة 12 عاماً فضلاً عن بعده عن ميدان السياسة الخارجية، والثانية وهي تقريباً نتيجة للأولى وتمثل في تركيز جهوده واهتمامه وخبرته على القضايا الداخلية، وهذا بدوره ما يمكن أن يفسر قلة الاهتمام الأمريكي في عهد كلينتون بعملية السلام بين العرب وإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، وفي هذا السياق يذهب وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر إلى أن كلينتون وإدارته لم يقوموا بواجبهم من أجل التقدم في عملية السلام وفي نفس الإطار يصف ويليام كوانت الرئيس كلينتون في نهاية ولايته الثانية بأنه شبيه بالبطة العرجاء⁽¹⁾ في إشارة إلى ضعفه وعدم قدرته شخصياً على اتخاذ قرارات مهمة بشأن قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وذلك رغم انغماسه الشخصي في كثير من الأحيان ومحاولته من أجل تحقيق أي إنجاز ممكن في مسار عملية السلام قبل أن يغادر البيت الأبيض.

هناك جانب آخر من شخصية كلينتون كذلك كان له أثره ودوره في تفسير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي في هذه المرحلة، وهو ما يطلق على هذا الرئيس من أنه ويلسوني براغماتي، حيث ربط في سياسته بين الليبرالية الاقتصادية والنموذج الديمقراطي، وقد عبر عن هذه النظرة بقوله:

" إن إستراتيجية أمننا القومي قائمة على هدف توسيع مجموع ديمقراطيات السوق مع الردع والحد من التهديدات التي تؤثر على أمننا وحلفائنا ومصالحنا، وبقدر ما تفرض الديمقراطية والليبرالية السياسية والاقتصادية نفسها في العالم وخصوصاً في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية بالنسبة إلينا، بقدر ما تحقق أمننا أمنها و يحقق شعبنا رفايته⁽²⁾ .

(1) ويليام كوانت، عملية السلام: الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ 1967، مرجع سابق، ص 650.

(2) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 55.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و نتيجة لذلك تميزت سياسة كلينتون الخارجية بالانعزالية النسبية بالنظر إلى المشاركة المحدودة في عملية السلام، والتي تميزت غالبا بانتهاج سياسة القوة الناعمة **Sot-Power** باعتبار **حوزيف ناي**، أي تفعيل الأداة الاقتصادية في عملية التسوية، و قد رأينا ذلك بشكل واضح سواء في اتفاق **أوسلو** عام 1993 أين اكتفى **كلينتون** بالتأكيد على دعم مثل هذه الاتفاقيات من خلال حشد دعم اقتصادي دولي لتنمية **الضفة الغربية و قطاع غزة** و من ضمنه (500) مليون دولار مساهمة من طرف الولايات المتحدة، أو ما حدث في اتفاق **وداي عربية** 1994 بين الأردن و إسرائيل أين ارتبط تخفيف الأردن من أجل الدخول في اتفاقية للسلام مع إسرائيل بمسح كلينتون للديون الأردنية .

لقد استطاع **بيل كلينتون** من خلال هذه التوجهات أن يحقق بعض النتائج الإيجابية و الإنجازات على المستوى الداخلي الأمريكي، و أهم ذلك على سبيل المثال، تمكنه من تحويل العجز الاقتصادي الذي كان متوقعا سنة 1999 من 400 مليار دولار إلى أكثر من 113 مليار دولار فائض، غير أن مثل هذه النجاحات رغم أهميتها الكبيرة داخليا، إلا أنها كانت على حساب تراجع الدور الأمريكي في معالجة قضية الصراع العربي الإسرائيلي التي أخذت تتفاقم خاصة مع مجيء حكومة **ناتياهو** التي تبنت سياسة استيطانية غير مسبوقة، الأمر الذي جعل **كلينتون** عاجزا عن تبني خطوات عملية نحو أي مبادرة سلام حقيقية، فهو لا يستطيع أن يقف في وجه سياسات **ناتياهو** في الأراضي المحتلة لأنه وعد بذلك اليهود في حملته الانتخابية، ولم ينطلق من حيث انتهى **بوش و بيكر** لأنه اعتمد في سياسته تجاه الصراع أساسا على انتقاده لسياسة سلفه، و هذا الوضع هو الذي جعل **ويليام كوانت** يصفه بـ: **البطة العرجاء** كما سبق و أشرنا، و بالتالي أصبح في وضع بحيث أنه لا مناص له إلا أن يزيد من حجم التضييق على الجانب الفلسطيني و الاستمرار في الانحياز لصالح الطرف الإسرائيلي، و يدعم هذه الحقيقة بصورة أكبر طبيعة و تركيبة فريق العمل الذي كان قد عينه الرئيس على رأس الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط .

ثالثا: جورج وولكر بوش و الصراع العربي الإسرائيلي

بالنسبة لـ: جورج وولكر بوش نجد أن النظر إلى بعض الدراسات التي تطرقت إلى حياته ومميزاته الشخصية وكيفية وصوله إلى رئاسة الولايات المتحدة ، تطلعتنا على أن هذه الجوانب لعبت دورا كبيرا في بلورة قرارات السياسة الخارجية الأمريكية وتنفيذها، كما تفسر لنا الرؤية الأمريكية من خلال هذه الإدارة لقضية الصراع العربي الإسرائيلي على مدار ثماني سنوات وطبيعة الموقف الأمريكي الرسمي في لقضية الفلسطينية خلال فترة حكم هذا الرئيس الجمهوري .

ما يعرف عن جورج وولكر بوش في البداية هو أنه كان من غير المتوقع أن يترشح في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2000 لاعتباره غير مؤهل لذلك، حيث كان أثناء فترة حكم أبيه غارقا في اللهو و اللامبالاة حتى وقعت له حادثة و هو في حالة سكر شديد، وكان قد أثار ذلك انتباهه لنفسه و لنمط حياته اللامبالي، و قرر على إثر ذلك بداية خط جديد في حياته، و رشح بعدها نفسه لولاية تكساس مستغلا اسم أبيه و نفوذه المالي و فاز فعلا بتلك الولاية (1) ، و على إثر ذلك توجهت أنظار الجمهوريين الحالمين ببناء الإمبراطورية الأمريكية و على رأسهم جورج بوش (الأب) نحو جورج وولكر بوش، و كان لهم نشاطا كبيرا جدا من أجل إعادة الحكم إلى الحزب الجمهوري الذي عرف في هذه المرحلة سيطرة تيار المحافظين الجدد عليه (*).

بعد أن تم انتخاب ج.و.بوش و انطلاقا من سيطرة المحافظين الجدد على الحزب الجمهوري، تم تشكيل فريق الإدارة الجديدة من هذا التيار الذي يمثل الجناح الراديكالي و المتطرف في الحزب الجمهوري، و قد شغل أهم المناصب في هذه الإدارة خليط من المسحيين الصهيونيين و المحافظين الجدد من اليهود الأمريكيين، و أهم الشخصيات من بين هؤلاء: كوندوليزا رايس، بول وولفويتز، ريتشارد أرميتاج، ريتشارد بيرل، روبرت زوليك، ريتشارد تشيني، دونالد رامسفيلد، ستيفن هادي،

(1) أنظر: نفس المرجع، ص355.

(*) رغم أن جذور المحافظين الجدد تعود إلى الحزب الديمقراطي إلا أنهم تخلوا عن مبادئ هذا الحزب منذ الستينيات، وانتقدوا بشدة النماذج النمطية من الزعماء الديمقراطيين من أمثال جيمي كارتر و بيل كلينتون على اعتبار أنهم أصحاب سياسات ساذجة تهدف إلى نشر الديمقراطية عن طريق المؤسسات الدولية و بالطرق السلمية، و قد سعى المحافظون الجدد من خلال إدارة ج . و . بوش إلى دعم التوجه التدخل للسيااسة الخارجية الأمريكية بقوة من خلال اغتنام فرصة الحرب على الإرهاب. انظر: عبد العزيز كامل، مرجع سابق، ص332.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

روبرت بلاكوي،... وغيرهم، و كثيرا ما يقارن نفوذ هؤلاء و قوة تأثيرهم —: فريق الحكماء الذي كان يشكل إدارة ترومان، أو فريق الأذكياء الذي كان يشكل إدارة جون كيندي⁽¹⁾ و تزداد درجة نفوذ هذا الفريق مع ما يعرف عن شخصية ج.و.بوش الضعيفة نظرا لقلّة تكوينه و ضعف خبرته في ميدان السياسة الأمريكية الداخلية و الخارجية، مما يجعله مجرد واجهة للسياسة الأمريكية بينما تسيطر هذه النخبة المحافظة الجديدة على مجمل العملية السياسية خاصة السياسة الخارجية طوال فترة حكم ج.و.بوش.

يؤمن أعضاء النخبة الحاكمة المحيطة بـ: ج.و.بوش بأن تجمع اليهود في فلسطين هو أكبر علامات عودة المسيح التي ستأتي بالخلاص إلى العالم، و لم يكن الرئيس نفسه خلافا لما هو عليه فريقه و المتنفذين في إدارته بشأن هذه المعتقدات الصهيونية المسيحية، و مع أن أعضاء هذا التيار يمثلون الأقلية القليلة من بين سائر اليهود في أمريكا إلا أن ثقلهم و قوة تأثيرهم في السياسة الخارجية الأمريكية يفوق عددهم، و رغم أن بوش لا يدين بفوزه في الانتخابات الرئاسية لليهود الأمريكيين و مع ذلك فإن هذه الأقلية هي التي كانت تسيير و تتحكم في إدارة بوش⁽²⁾ ، لذلك فإن الحديث عن أي دور لهذا الرئيس في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي هو حديث عن دور فريق إدارته المحافظي الجديد تجاه هذه القضية .

في بداية ممارستها لمهامها لم تضع إدارة بوش قضية الشرق الأوسط عموما في صدارة أولوياتها ، فالرئيس الجديد ليس له خبرة كبيرة بالتفاصيل الدقيقة و العقدة لقضية الصراع العربي الإسرائيلي، حيث اعتبر — بحكم كونه حاكما سابقا لولاية تكساس — أن أمريكا اللاتينية هي الملعب الرئيسي لإدارة الجديدة ، لذلك لم يكن غريبا أن تأتي تشكيلة فريق السياسة الخارجية خالية إلى حد بعيد من الخبراء و المهتمين بالصراع، فباستثناء ريتشارد تشيني نائب الرئيس ، و كولن باول وزير الخارجية، فإن أركان هذه الإدارة يُعتبرون من المهتمين بقضايا بعيدة عن الصراع العربي الإسرائيلي، و فضلا عن ذلك فإن الرئيس ج.و.بوش و أركان الحزب الجمهوري

(1) أنظر: نفس لمرجع ، ص 418.

(2) نفس المرجع، ص ص 332 – 333.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

يعيون على الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون دعمه و محاولات انغماسه الشديد من أجل حل الصراع العربي الإسرائيلي، و يعتبرون أن ذلك قد أدى إلى الحط من قيمة الرئيس و كرامة الرئاسة الأمريكية في المنطقة و العالم (1) ، في حين أن الواجب على القيادة الأمريكية أن تهتم ببناء الإمبراطورية الأمريكية التي بدأها جورج بوش (الأب) منذ انتصاره في حرب الخليج الثانية، إلا أن الأحداث التي وقعت في 11 سبتمبر 2001 و الآثار التي تركتها على الداخل الأمريكي حفزت إدارة ج.و.بوش من جديد على العمل من أجل إيجاد صيغة لتسوية الصراع الدائر في الشرق الأوسط و القائمة على فكرة وجود دولتين فلسطينية و إسرائيلية تعيشان جنبا إلى جنب .

ترافقت هذه الرؤية التي طرحها ج.و.بوش مع تبني الإدارة الأمريكية لسياسة الحرب على ما يسمى بالإرهاب الدولي الذي يعتبر العدو الجديد و الخطير على الأمن القومي الأمريكي، خاصة الإرهاب (الإسلامي) حسب وجهة نظر تيار المحافظين الجدد في هذه الإدارة، و قد شهد تعاطي هذه الأخيرة مع مقترح ج.و.بوش تنافسا حادا بين وزارتي الخارجية و الدفاع حول كيفية التعامل مع الصراع في الشرق الأوسط، حيث قدمت كل منهما رؤية مختلفة، فوزارة الخارجية اعتبرت الحفاظ على متانة الائتلاف الدولي - الذي تم تشكيله - هدفا رئيسيا و كانت تفضل تهدئة الصراع و تقديم رؤية أمريكية متوازنة و ذلك لضمان تماسك الائتلاف و التأكد من تحقيق نصر طويل المدى ضد الإرهاب، و قد تعارضت هذه الرؤية مع الطرح الذي تبنته وزارة الدفاع و معها نائب الرئيس رتشارد تشيني التي كانت تميل إلى أن حل الصراع ليس من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، و أن إسرائيل يمكن أن تُستخدم كوسيلة للضغط على الحكومات و الشعوب العربية (2) ، و تتبع هذه النظرة من الرؤية المحافظة الجديدة التي ترى أن السلام أمر غير طبيعي (3) ، و أن الحروب هي الأصل خاصة في ظل الإستراتيجية الأمريكية الجديدة (*).

(1) محمود حمد ، **محددات الموقف الأمريكي من قضية الشرق الأوسط ، السياسة الدولية**، العدد 149، جويلية 2002، ص 87.

(2) نفس المرجع ، نفس الصفحة.

(3) عبد العزيز كامل، مرجع سابق، ص 363.

(*) على أساس هذه الرؤية تم تفسير مقولتي **صدام الحضارات و نهاية التاريخ** ، و تم بلورة شعار جديد في السياسة الخارجية الأمريكية هو: "**استمرار الهجوم**" كخيار استراتيجي ضد العدو الجديد (الإرهاب). انظر: نفس المرجع، نفس الصفحة.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

على عكس بيل كلينتون الذي عُرف عنه أنه يستشير كثيرا و يقلب المسائل من عدة أوجه قبل أن يتخذ القرار المناسب بشأن مختلف قضايا السياسة الخارجية التي يواجهها ، فقد عرف عن بوش عكس ذلك، حيث كان يعتمد على الحلول السريعة و البسيطة للمشاكل السياسية التي تواجهه ، و كان يعتمد على مستشاريه اعتمادا كبيرا، إضافة إلى أنه كان يميل إلى معالجة القضايا الدولية بمبادئ بسيطة انطلاقا من اعتقاداته الدينية المحافظة ، و هو ما يؤكده ج.و.بوش نفسه بقوله :

" لا يركز عملي على تعقيد الأشياء، و إنما يستند عملي على مخاطبة الناس بما اعتقده " (1) .

و بناء على هذه الخلفية تصرف بوش إزاء الخلاف بين وزارة الخارجية و وزارة الدفاع حول طريقة التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي، و دعا إلى بدء العمل السياسي و جهود الوساطة دون انتظار، و لكن بإيقاع بسيط نسبيا يمكن فيه الموازنة بين ضغوط القوى الفاعلة داخل إدارته، و تعلق الرئيس بأن التوقيت غير مناسب لإعلان مبادرة أمريكية للسلام في الشرق الأوسط أو الإعلان عن الدولة الفلسطينية المؤقتة (2) .

لقد دلت مواقف هذه الإدارة الأمريكية كسابقتها على استمرار دعم سياستها لإسرائيل لعوامل تتعلق إلى حد بعيد بطبيعة النخبة الحاكمة ، حيث اعتبرت إسرائيل الطرف الأكثر تضررا بسبب الإرهاب الذي مارسه الفلسطينيون من خلال حركات المقاومة (الإرهابية) ، و حتى المواقف الدبلوماسية للسلطة الفلسطينية التي غالبا ما كانت متماشية مع مطالب إسرائيل اعتبرت من قبيل السياسات الإرهابية، و قد جاء في البيان الذي قدمه الرئيس ج.و.بوش عن الشرق الأوسط العديد من العبارات التي تؤكد ذلك، و من بين ذلك قوله :

" إنه من غير المقبول أن يعيش الشعب الإسرائيلي في خوف .. " و أضاف :

"... إن السلطات الفلسطينية اليوم تشجع الإرهاب و لا تكافحه، و هذا غير

مقبول، و الولايات المتحدة الأمريكية لن تؤيد إنشاء دولة فلسطينية إلى أن

(1) انظر : مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 423 - 424.

(2) انظر: محمود حمد، مرجع سابق، ص 87.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

يشارك قادتها في كفاح متواصل ضد الإرهابيين و يفككوا بنيتهم التحتية ...،
و قد قلت في الماضي أن الدول إما معنا أو ضدنا في حربنا ضد الإرهاب (1)
و في نفس هذا البيان دعا بوش الفلسطينيين إلى المزيد من الديمقراطية كخطوة
فلسطينية ضرورية نحو استقطاب الموقف الأمريكي حيث قال :

" إن دولة لن تستطيع أن تخدم مواطنيها إلا بدستور جديد يفصل بين
السلطات و الولايات المتحدة مع آخرين في المجتمع الدولي ستساعد
الفلسطينيين على تنظيم و مراقبة انتخابات محلية عادلة متعددة الأحزاب
على أن تعقبها انتخابات وطنية " (2).

و كان بوش يهدف بهذه الدعوة إلى الضغط على حركات المقاومة التي ترفض
التطبيع مع إسرائيل خاصة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من خلال العمل على
إدماجها في اللعبة السياسية الداخلية الفلسطينية، على أمل إخضاعها عسكرياً بخلق
الانشقاق الداخلي بين التيارات الداعمة للمقاومة و التيارات الداعية للمشاركة
السياسية (3) ، غير أنه بعد فوز حماس بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي عبر انتخابات
ديمقراطية، اتضح أن حسابات الإدارة الأمريكية و إدراكها لما ستكون عليه التجربة
الديمقراطية الفلسطينية لم يكن متوقعا، و بقيت هذه الإدارة تعتبر حركة حماس
الفلسطينية منظمة إرهابية بسبب استقرارها على خيار المقاومة حتى بعد سيطرتها على
الحكومة ، و نتيجة لذلك مارست الإدارة الأمريكية جميع أنواع الضغط على الحكومة
الفلسطينية الجديدة و السلطة ، و حتى الدول التي ترغب في تقديم مساعدات مالية
لتسيير أعمال الحكومة الجديدة كانت تتعرض لنفس الضغط.

لقد أبرزت هذه الإدارة التوجه العام الذي يحدد السياسة الخارجية الأمريكية
تجاه الصراع و القائم على حماية أمن إسرائيل و الوقوف في وجه كل ما من شأنه أن
يهدد هذا الحليف الاستراتيجي، كما أبرزت بشكل واضح هيمنة و سيطرة
توجهات تيار المحافظين الجدد التي ترى بضرورة الإبقاء على حالة الصراع بدل العمل

(1) وثيقة : نص بيان الرئيس جورج وولكر بوش عن الشرق الأوسط في 24 جوان 2002. المصدر: السياسة الدولية، العدد 149، جويلية 2002، ص ص 112 - 113.

(2) نفس المرجع، ص 112.

(3) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 500.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

على حله خاصة و أن ميزان القوة الإقليمي بين إسرائيل و جيرانها العرب راجح لصالح إسرائيل .

المطلب الثاني : الكونغرس و السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي

الإسرائيلي.

يُعرف عن الكونغرس الأمريكي أنه يهدف بصورة أساسية إلى إقامة نظام سياسي يقوم على مبدأ الرقابة المتبادلة و التوازن خاصة بين السلطة التنفيذية و السلطة التشريعية، و ذلك من أجل وضع بعض القيود على السلطة السياسية للأجهزة المخولة بذلك ، فأعطى جهة صلاحيات واسعة للرقابة على الجهة الأخرى بحيث لا يمكن لأي جهة أن تنفرد بصنع القرار ، و في مجال السياسة الخارجية أعطى الدستور للكونغرس صلاحيات عديدة أهمها : سلطة إعلان الحرب و سلطة إقرار ميزانية الحرب و الميزانية العامة التي تقترحها الإدارة ، فيمكن للكونغرس مثلا أن يمارس الرقابة على السلطة التنفيذية من خلال الصلاحيات التي يتمتع بها في تمويل العمليات العسكرية ، و هذا يعطيه نفوذا أكبر في صناعة قرارات السياسة الخارجية، و قد يجعل ذلك أعضاء الكونغرس يملكون حق معارضة سياسة الإدارة الأمريكية في حالة تعارض سياسة الرئيس مع توجهاتهم و طموحاتهم، فقد مارس الكونغرس هذه الصلاحيات في السابق عند إعلان الحرب على اسبانيا عام 1889⁽¹⁾ ، كما ساهم كذلك في تبني الولايات المتحدة لخيار سياسة العزلة و عدم التدخل في شؤون الخارجية و كذا في خروجها من عزلتها و انفتاحها على العالم.

و في مقابل هذا التصور الذي يبرز و يؤكد دور و مكانة الكونغرس في السياسة الخارجية للولايات المتحدة يرى نيكولاس غايات أنه نظرا لكون أعضاء الكونغرس ينتخبون من قبل مقترعين في مناطق محددة في الولايات المتحدة الأمريكية، فمن السهل الاستنتاج أن تركيزهم ينصب على القضايا المحلية، و بالتالي فإن مقاربتهم للسياسة الخارجية هي انعزالية انعكاسا لذلك⁽²⁾ ، و هذا يدعونا للتساؤل عن حدود

(1) نفس المرجع، ص ص 115 - 116.
(2) نيكولاس غايات، مرجع سابق ، ص 239.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و طبيعة الدور الذي يلعبه الكونغرس في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي .

في البداية ما يمكن ملاحظته هو أن الكونغرس بحكم عمله عن بعد في تشكيل السياسة الخارجية (1) ، لذا فهو يسعى دائما إلى تعظيم دوره في هذا المجال خاصة في مواجهة الدور المتعاضد للسلطة التنفيذية، و تبرز أهمية هذا الدور الذي يلعبه في عملية صنع قرارات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي من خلال إقراره أو معارضته لسياسة الإدارة، و ذلك باستخدام صلاحياته خاصة فيما يتعلق بالتصويت على الميزانية المقترحة من قبل الإدارة، مما يجعل هذه الأخيرة تحدد توجهاتها مسبقا من خلال التشاور مع أعضاء الكونغرس لتجنب المعارضة على التصويت (2) ، و إضافة إلى هذا فإن طبيعة الخيارات و المواقف التي يتبناها أو يوافق عليها الكونغرس غالبا ما تُفسَّر بالرجوع إلى طبيعة التركيبة البشرية المشكّلة لغرفتي المؤسسة التشريعية الأمريكية و انتماء أعضائها الحزبي و الفكري و الديني خاصة إذا تعلق الأمر بالصراع العربي الإسرائيلي .

يذهب البعض مثل فواز جرجس إلى أن الكونغرس من خلال السلطات المخولة له قد لعب دورا حاسما في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء المنطقة العربية ، أكثر من أي مكان آخر في العالم خاصة فيما يتعلق بالمساعدات الأمريكية المقدمة لإسرائيل و الصراع العربي الإسرائيلي و أمن النفط، و ذلك باعتبار أن المنطقة ذات أهمية طويلة المدى فيما يتعلق بالموارد النفطية، فمن خلال الكونغرس يتم تخصيص المساعدات الخارجية الاقتصادية و العسكرية التي تعتبر من أكثر أدوات السياسة الخارجية الأمريكية فعالية في نشر نفوذها في المنطقة ، و تاريخيا لعبت المساعدات الأمريكية دورا حاسما في تشجيع مصر على توقيع اتفاقية سلام "كامب دافيد" مع إسرائيل عام 1979 و إنهاء الحرب معها (3) ، كما أن المساعدات الاقتصادية و العسكرية التي يقرها الكونغرس سنويا لصالح إسرائيل قد أعطت تل أبيب أفضلية إستراتيجية جعلتها الأكثر تفوقا على باقي الأطراف العربية في منطقة الشرق الأوسط.

(1) نفس المرجع، ص 240.

(2) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 117.

(3) فواز جرجس، مرجع سابق. ص 76.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و في مرحلة ما بعد الحرب الباردة يمكن القول بأن مكانة الكونغرس و نطاق تدخله في مجال السياسة الخارجية قد أصبح أوسع، بسبب زوال التهديد السوفييتي الذي بزواله تراجع هامش المناورة و السيطرة على عملية صنع قرارات السياسة الخارجية الأمريكية بالنسبة للسلطة التنفيذية و صارت أكثر خضوعا للكونغرس، ففي هذه المرحلة تواصل نمط الاستمرار في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي بالنظر إلى انخياز الكونغرس إلى إسرائيل ، خاصة في حدود ممارسته لسلطاته الدستورية ، ففي هذا الإطار امتنعت الولايات المتحدة الأمريكية عن استعمال المساعدات الاقتصادية كعصا للضغط على إسرائيل لتقديم بعض التنازلات الشكلية على جبهة السلام ، و قد زاد مستوى المساعدات الأمريكية إلى إسرائيل باستمرار على الرغم من عدم وجود تقدم مهم في حل الصراع العربي الإسرائيلي ، فالكونغرس لا يوافق فقط بشكل روتيني على المساعدات لإسرائيل، بل يحاول كذلك المزايدة على السلطة التنفيذية بطلب في زيادة المساعدات لإسرائيل.

و لقد أخفقت السلطة التنفيذية في تحدي السلطة التشريعية بشأن هذه المسألة بشكل خاص (1) و بالتالي فإن زيادة المساعدات الأمريكية لإسرائيل نتيجة الدعم المقدم من طرف الكونغرس جعلت الرئيس غير قادر على ممارسة أي ضغوط فعلية من شأنها أن تجبر إسرائيل على تقديم تنازلات من أجل التقدم في عملية السلام ، فمثلا في عهد جورج بوش (الأب) الذي يعتبر من قبل البعض بأنه أكثر الرؤساء الأمريكيين توازنا بشأن قضية الصراع العربي الإسرائيلي ، يوصف بأنه مارس ضغوطا غير مقبولة على إسرائيل — و هذا على حد تعبير بيل كلينتون — و واجه انتقادا كبيرا في أوساط الكونغرس، و مع هذا بلغ حجم المعونة المالية المقدمة في السنة المالية 1991 ما مجموعه 5.147 مليار دولار، و منذ تلك السنة أخذت المعونة الاقتصادية التي تقدمها إدارة بوش بالازدياد (2) ، خاصة و أن الكونغرس خلال هذه الفترة كان ذا أغلبية ديمقراطية مما يعني أن الضغط على الرئيس يكون أكبر، و أن رؤى الكونغرس حول السياسة الخارجية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي ستحظى بأولوية الدعم و القبول في أوساط صنع القرار الخارجي الأمريكي.

(1) نفس المرجع . ص 78.

(2) تشريل روبرغ. مرجع سابق. ص 303.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و في هذا السياق أدى وقوف الكونغرس إلى جانب إسرائيل إلى اعتماد النخبة الأمريكية لسياسة الترغيب بدل محاولة الضغط من أجل أي تقدم من جانب إسرائيل نحو معالجة الصراع العربي الإسرائيلي، و هذه السياسة بدورها جعلت القادة الإسرائيليين يدركون حقيقة مهمة و هي أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستعمل قدرتها و نفوذها للضغط عليهم من أجل تقديم تنازلات على طريق السلام العربي الإسرائيلي ، و قد أصبح الرؤساء الأمريكيون يفكرون مرارا قبل الضغط على إسرائيل لأن الكونغرس يعيق أي جهود لربط المساعدات و الدعم الأمريكي إلى إسرائيل بسلوكها الحقيقي، و غالبا ما أوضح الكونغرس للسلطة التنفيذية أنه سيعارض أي محاولات رئاسية للضغط على إسرائيل ، و في عام 1996 ذهب الكونغرس إلى أبعد من ذلك عندما صادق على تشريع ضد رغبة الرئاسة الأمريكية يطالب بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس (1).

و عندما حاول كلينتون — من خلال تدخله المتواضع و الضغط الهادئ على الفلسطينيين و الإسرائيليين — بعث الحياة من جديد في عملية السلام ، اعتبر **ناتياهو** أن إسرائيل هي من تقرر إستراتيجية السلام و الحرب، و ببساطة رفضت إسرائيل هذا التدخل من الرئيس الأمريكي و كان إلى جانب **ناتياهو** أعضاء الكونغرس ، حيث أن أكثر من 80 سيناتورا و 200 نائب وقعوا على وثيقة تعارض جهود إدارة كلينتون لدفع **ناتياهو** لقبول خطة الانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة (2) ، و من جهته ينظر **ويليام كوانت** إلى المقاربة الحذرة لـ: **بييل كلينتون** نحو صنع السلام العربي الإسرائيلي على أنها تُفسَّر بالنظر إلى الدور الذي يلعبه الكونغرس ، إذ أن هذا الأخير كان يعتبر مشكلة بالنسبة للرئيس **كلينتون**، فالجمهوريون كانوا يسيطرون على كلا المجلسين في السلطة التشريعية ، و القرارات المؤيدة لإسرائيل تتخذ عادة بتأييد إجماعي تقريبا في مجلس النواب و مجلس الشيوخ (3).

إن هذا الدعم الذي تلقاه إسرائيل من قبل الكونغرس الأمريكي ليس من قبيل الصدفة ، بل هو راجع في الأساس إلى أن أعضاء الكونغرس الذين يعملون باستمرار

(1) فواز جرجس، مرجع سابق، ص 79.

(2) نفس المرجع، ص 80 - 81.

(3) ويليام كوانت ، **عملية السلام : الدبلوماسية الأمريكية و النزاع العربي الإسرائيلي منذ 1967**، مرجع سابق، ص 668.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و بجهد كبير على دعم إسرائيل ، يمثلون دوائر انتخابية يوجد فيها نسبة كبيرة من اليهود ، و على الرغم من أن اليهود يشكلون حوالي 3% من الشعب الأمريكي و 6% من الناخبين ، إلا أن تمركزهم في بعض المناطق الانتخابية الرئيسية و دعمهم القوي لإسرائيل يجعلان الأصوات اليهودية قوة مهمة لا يمكن للكثيرين من أعضاء الكونغرس و من غير اليهود تجاهلها⁽¹⁾، إضافة إلى أن لليهود في أمريكا في فترة الانتخابات نشاطا خاصا في دعم الأشخاص الذين يدافعون عن إسرائيل ، و إيصالهم إلى مراكز صنع القرار ، سواء كانت هذه الانتخابات نيابية أو رئاسية خاصة فيما يتعلق بالدعم المالي و الدعائي، مما يجعل النخبة الحاكمة فيما بعد في حالة تبعية لليهود في هذا المجال.

و بسبب تزايد دور الكونغرس في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي لصالح إسرائيل، صار هناك من يصف الكونغرس باعتباره نسخة مصغرة عن الكنيست الإسرائيلي، و ذلك لان معظم أعضائه يؤيدون إسرائيل تأييدا عميقا و ثابتا، و لقد كان الكونغرس دائما هو صاحب العديد من المبادرات المنحازة لإسرائيل ، و قد تعدى الكونغرس ذلك إلى التهديد بتخفيض أو قطع المعونات عن الدول التي تنتقد إسرائيل⁽²⁾ ، بينما كانت سياسة الكونغرس نحو الجانب العربي و تحديدا نحو الفلسطينيين على نحو مغاير تماما ، فقد كان ضد أي سياسة أمريكية متوازنة أو متعاطفة مع الشعب الفلسطيني ، فمع نهاية العهدة الثانية لـ: بيل كلينتون و بداية حكم جورج .و. بوش كانت قد اندلعت أحداث عنف قوية في الأراضي المحتلة تزامنت مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثالثة (انتفاضة الأقصى) و رد الفعل الإسرائيلي العنيف ضد الشعب الفلسطيني ، و مع هذه الأحداث استمرت مواقف الكونغرس مثلما في السابق ، حيث جاء في خطاب موجه من الكونغرس إلى الرئيس يحمل بصورة صريحة مسؤولية هذا العنف للطرف الفلسطيني و يعتبر الطرف الإسرائيلي هو الضحية.

فمجلس الشيوخ مثلا يعبر عن اعتقاده بأن إسرائيل قد قدمت كل التنازلات الممكنة ، و أن الفلسطينيين هم السبب في أحداث العنف الأخيرة ، وأنه يوميا يقوم الفلسطينيون بنحو

(1) نديم البيطار، هل يمكن الاحتكام إلى الولايات المتحدة في الصراع العربي الإسرائيلي، الطبعة الثانية، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام، لبنان، جانفي 2002 ، ص 47.
(2) محمود حمد ، مرجع سابق، ص 86.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

ثلاثين هجوما على العسكريين و المدنيين الإسرائيليين وأن الكثير من هذه الهجمات مخطط بعناية من قبل القيادات الأمنية الفلسطينية و قادة منظمة التحرير ، و أن رئيس السلطة الفلسطينية لم يخاطب شعبه يوما لوقف العنف على الرغم من النداءات العديدة التي وجهتها الولايات المتحدة بهذا الصدد (1).

فالولايات المتحدة حسب مجلس الشيوخ قد فتحت حوارا مع منظمة التحرير الفلسطينية و سمحت بإقامة تمثيل للفلسطينيين في واشنطن ، و سمحت للمسؤولين الفلسطينيين بزيارة الولايات المتحدة ، و قدمت دعما ماليا للفلسطينيين بشرط التزام قيادتهم بالسلام ، خاصة و أن التشريعات الأمريكية كانت تمنع أي مسؤول من لقاء أعضاء المنظمة ما لم تتخل تماما عن الإرهاب و دعمه، و نظرا للتغيير الكبير في سلوك الفلسطينيين في هذه الفترة فإنه يجب على الحكومة الأمريكية أن تعيد النظر في علاقتها بالسلطة الفلسطينية ، فكل الأفراد الذين يشبه في قيامهم بهجمات ضد إسرائيل يجب أن يمنعوا من دخول الولايات المتحدة ، و يجب إدراج المنظمات التي ترعى العنف كمنظمات إرهابية ، كما أن السيد ياسر عرفات لا يجب أن يدعى للقاء كبار المسؤولين الأمريكيين ، أما الأمر الآخر الذي يجب أن يتم التأكيد عليه هو تصميم الولايات المتحدة على معارضة إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد ، و يؤكد الشيوخ في الأخير أنه على أعضاء الكونغرس من كلا الحزبين ، و الإدارة أن يواصلوا تأكيد التزامهم بأمن إسرائيل و بالمصالح المشتركة الفريدة بين الدولتين (2).

لقد لعبت مؤسسات النظام السياسي الأمريكي الرسمية التشريعية و التنفيذية دورا مهما و حاسما في أغلب مواقف السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي ، بما يدل على أن عوامل استمرار السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع غالبا ما تفسر بالرجوع إلى خصائص القادة السياسيين الأمريكيين، و النخبة الحاكمة الموالية لإسرائيل و التي تهيمن على المراكز الحساسة لصنع القرار السياسي الأمريكي ، غير أنه و من جهة أخرى يبدو أن جزء مهم من النخبة الحاكمة في حد ذاتها كثيرا ما تقع تحت تأثير بعض القوى الداخلية غير الرسمية، و هذا ما يجعلها أحيانا تتبع سياسات قد تتعارض مع قناعاتها كنخبة حاكمة.

(1) نفس المرجع ، ص ص 86 – 87.

(2) نفس المرجع ، ص 87.

المبحث الثاني : دور المحددات الداخلية غير الرسمية

على الرغم من أن مؤسسات النظام السياسي الرسمية التي تطرقنا إليها هي الجهة المسؤولة و المخولة بصنع قرارات و ممارسة سلوكات السياسة الخارجية الأمريكية، وتتبنى جميع المواقف المتعلقة بقضية الصراع العربي الإسرائيلي، و هذه المؤسسات هي التي تمارس في النهاية أدوار الوساطة الدبلوماسية التي تظهر دائما في شكل دعم وتأييد للطرف الإسرائيلي لعدة اعتبارات، و تشكل هذه الملامح الجزء الظاهر فقط من محددات السياسة الخارجية الأمريكية، غير أن البحث أكثر في عمق البنية الداخلية الأمريكية يؤكد لنا وجود عوامل و محددات غير رسمية تلعب هي الأخرى دورا مهما في بلورة و توجيه و دعم المواقف و السلوكات الخارجية الأمريكية، خاصة من خلال المساهمة في إيصال الرسميين إلى مراكز صنع القرار.

المطلب الأول : دور وسائل الإعلام و الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية

إذا كان هناك دور لوسائل الإعلام و الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فإن هذا الدور يزداد أكثر بعد نهاية الحرب الباردة أين شهد العالم ثورة تكنولوجية هائلة و سرعة و حرية في تدفق المعلومات و الأخبار باستخدام تقنيات عالية، بحيث أصبح العالم كله عبارة عن قرية صغيرة، و في بلد ديمقراطي مثل الولايات المتحدة الأمريكية يُفترض أن تضطلع وسائل الإعلام و الرأي العام بدور حيوي و نشيط في عملية السياسة الخارجية للدولة أكثر من أي بلد آخر، و هذا ما يمكن اعتباره إحدى زوايا التفسيرات الداخلية للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

أولا : دور وسائل الإعلام :

كان لوسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية منذ إعلان الدستور الأمريكي أهمية بالغة في نشر القيم السياسية الأمريكية و التفاعل بين الحكام و أفراد الشعب، و استمرت هذه الأهمية مع تطور صناعة الإعلام و زيادة حجم التغطية الإعلامية و قضايا الاهتمام، و حسب الأرقام الرسمية للحكومة الأمريكية فإن ميزانية إذاعة صوت أمريكا سنة 1991 على سبيل المثال بلغت 231 مليون دولار، و تتألف إدارتها من أكثر من 3000 موظف،

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

ولها أكثر من 25 مكتب في العالم، كما توجد بالولايات المتحدة أزيد من عشرة آلاف صحيفة يومية وأسبوعية، وتمتلك المؤسسات الخاصة من مواردها المالية والتقنية أزيد من 50%⁽¹⁾، إضافة إلى القنوات التلفزيونية الضخمة والأكثر شعبية في أمريكا مثل شركة الإذاعة القومية NBC وقناة CNN ناهيك عن حجم المعلومات الذي توفره الشبكة العالمية للمعلومات (Internet).

من الناحية المجردة تستند ممارسة العملية الإعلامية من قبل الصحافة ووسائل الإعلام الحديثة في الولايات المتحدة على الخبر News كمنطلق يحدد الأولوية في الاهتمامات المتعددة التي يفرزها التدفق الإعلامي الضخم وتعدد قنوات ووسائل الإعلام، غير أنه ونظرا لأهمية ذلك بالنسبة لصناع القرار فإن هذا المفهوم يخضع في الواقع لشبكة من المعايير القيمية والمصلحية والسلطوية بحسب المجال السياسي والاجتماعي الذي تمارس فيه، بكيفية تجعل العملية الإعلامية تؤدي وظائف مختلفة، ويسعى صناع القرار لاستثمار المادة الإعلامية إلى أقصى قدر ممكن، وتتجلى أهم مظاهر هذا الاستثمار عموما في:

- الحصول على المعلومات المفيدة لصنع القرار ومعرفة الآراء والمستجدات .
- تركيز الاهتمام وخلق مناخ مناسب لتلقي القرار من خلال الترويج الإعلامي له.
- إعلان القرار ومتابعته⁽²⁾ .

لذلك فإن صناع القرار لهم اهتمام خاص بالمادة الإعلامية ومصادرها المختلفة كالمؤسسات الإعلامية الرسمية سواء كانت مرتبطة بالمؤسسة السياسية كما هو الشأن بالنسبة لوكالة الإعلام والاتصال التابعة للرئاسة، أو قسم الإعلام والصحافة في وزارة الدفاع والخارجية والمخلفين الإعلاميين والبرلمانيين، أو الصحف والوكالات والقنوات التي تعمل باستقلالية عن جهاز الدولة رغم ارتباطها من الناحية القانونية، إضافة إلى مصدر أساسي آخر يتمثل في وسائل الإعلام الحرة، حيث يتابع أعمال الكونغرس أكثر من 4000 صحفي معتمد رسميا⁽³⁾، ومن خلال ما أشرنا إليه يعمد الرسميون إلى حشد هذه الإمكانيات والموارد

(1) منصف السليمي، مرجع سابق، ص 261.

(2) نفس المرجع، ص 267-268 .

(3) نفس المرجع ، ص 268 .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

الإعلامية التي تحيط بالمؤسسة السياسية لتركيز و توجيه اهتمام الساحة الداخلية من أجل دعم التوجهات و السياسات الرسمية فيما يخص السياسة الخارجية للدولة، لذا تعتبر وسائل الإعلام في أغلب الأحيان أداة دعم لسياسة الولايات المتحدة تجاه قضية الصراع العربي الإسرائيلي، خاصة في ظل سيطرة السلطة السياسية على المؤسسات الإعلامية الثقيلة، و قدرتها على توجيهها في الإطار الذي يتماشى مع توجهاتها السياسية.

عرف عن أجهزة الإعلام الأمريكية في تغطيتها للصراع العربي الإسرائيلي الدائر في الشرق الأوسط تحيزها لما تعتبره القضية اليهودية منذ وعد بلفور، و لم تكن تعترف بأي حق من الحقوق الفلسطينية فضلا عن وصفهم بالتخلف و الإرهاب و أنهم عاجزون و غير معروفون، و في إحدى الدراسات للصحف الأمريكية وُجد أن اليهود في فلسطين يصوّرون على نحو إنساني و أنهم شعب يكافح من أجل بناء حياة مزدهرة، في حين يجرد الفلسطينيون من الإنسانية و تنكر حقوقهم و هويتهم و يجرمون من الاعتراف السياسي بهم (1)، و لم تتحسن هذه الصورة إلى مع الانتفاضة التي أظهرت العنف الإسرائيلي الممارس ضد الفلسطينيين، الأمر الذي جعل بعض وسائل الإعلام الأمريكية خاصة الصحافة أكثر صراحة و واقعية و أكثر انتقادا لإسرائيل، إلا أنها اتجهت نحو اتباع الإرشادات الرسمية الأمريكية، و بالتالي فقد أخفقت في الدفع أو المساهمة من أجل تسوية سلمية (2).

و كانت قد تزامنت هذه التوجهات الجديدة في بعض وسائل الإعلام الأمريكية مع بداية نهاية الحرب الباردة، و هذا ما يدل على أن وسائل الإعلام الأمريكي بعد نهاية الحرب الباردة ستكون أكثر استقلالية و ستلعب دورا أكثر إيجابية و واقعية في السياسة الخارجية الأمريكية، و يقول مدير دائرة الأخبار في إحدى شبكات الإعلام الأمريكية (NBC) بعد إشارته إلى الدور الذي لعبه الإعلام في عملية السلام بين مصر و إسرائيل: " يبدو بالتأكيد أن وسائل الإعلام هي المجال الرئيسي للمفاوضات " (3)

(1) ميخائيل سليمان، فلسطين في العقل الأمريكي، في: ميخائيل سليمان وآخرون، مرجع سبق، ص 33.

(2) نفس المرجع ص 34.

(3) ادموند غريب، الإعلام الأمريكي و العرب، في: ادموند غريب وآخرون، الوطن العربي في السياسة الأمريكية، الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر 2002، ص 201.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

مما لاشك فيه هو أن المراسلين في واشنطن و الصحفيين يساعدون الإدارات الأمريكية و يؤثرون في رسم السياسة الخارجية بعدة سبل ، فكثيرا ما تستخدم وسائل الإعلام لنقل ما لا تريد الحكومة إرساله عبر الحقائق الدبلوماسية، ذلك لأن صناع القرار باتوا يدركون أن الدبلوماسية القديمة فقدت بعض فعاليتها ، و برزت دبلوماسية جديدة جزء منها سري و جزء علني و الجزء الآخر دعائي يتم عبر الوسائط الإعلامية المختلفة و يلعب الدور الأساسي في التواصل بين الحكومات و الشعوب، غير أنه في النهاية نجد أن رجال الإعلام ليسوا دبلوماسيين، و عادة فإنهم يسعون وراء أهداف يجب أن تختلف عن أهداف المسؤولين الحكوميين الذين يحصلون منهم على المعلومات، فالمسؤول الحكومي يريد إبقاء نطاق أكبر من السرية على بعض القضايا بينما وظيفة رجل الإعلام هي الوصول إلى المعلومة و نشرها ، و يبقى الواقع غالبا ما يؤكد أن صانع القرار يلعب دورا متزايدا في تقرير ما هو الخبر و بصورة خاصة في مجال تغطية الشؤون الخارجية (1)

و مع أن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية حرة اسميا في أن تكتب أي شيء حول السياسة الخارجية الأمريكية، إلا أنه في واقع الأمر بقدر ما يكون الإعلاميون متجاوبون مع مطالب المسؤولين يسمح لهم بالوصول إلى الرئيس و مستشاريه — حسبما يؤكد ذلك نيكولاس غايات — ، و هذه صفقة قد تقدم للمراسل مناسبة حصرية غير أنها تقضي على قدرته على الكتابة بطريقة نقدية (2) ، و بالتالي تصبح وسائل الإعلام إحدى الجهات المستهلكة للبيانات الرسمية الصادرة عن المؤسسة التشريعية و المؤسسة التنفيذية.

كل هذا كان له الأثر الكبير في طريقة تعاطي وسائل الإعلام و دورها في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي ، و التي كثيرا ما تميزت بعدم التوازن في التغطية الإعلامية ، و غالبا ما يعود ذلك إلى نوع من الأحادية الإعلامية عندما يكون الموضوع متعلقا بالقضايا الخارجية ، فتغيبه القضايا الخارجية تبدأ و تنتهي بمواضيع تخص الولايات المتحدة بشكل مباشر ، و الصراع العربي الإسرائيلي يأتي هذا الإطار ، لذلك نجد أن التغطية الإعلامية لقضايا الشرق الأوسط عامة ارتبطت بشكل كبير بالخطر على إسرائيل التي توصف

(1) انظر: نفس المرجع، ص 202

(2) نيكولاس غايات ، مرجع سابق ، ص 244

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

إعلاميا كدولة صديقة لأمريكا، و بالنتيجة فإن الصراع العربي الإسرائيلي ينظر إليه من وجهة نظر تعتبر إسرائيل حليفة لها (1) ، و الأكيد أن هذه النظرة الإعلامية نحو إسرائيل تقابلها نظرة معاكسة تماما للطرف العربي الذي يقدم دائما بصورة مشوهة، و يرجع الأستاذ ادموند غريب ذلك إلى عدة أسباب أهمها :

1. التحيز الإعلامي الذي يعود لأسباب تاريخية و سياسية و دينية، و تشابه نمط التفكير لدى الصحفيين الأمريكيين حول الأحداث في منطقة الشرق الأوسط .
2. التعاطف الإعلامي الأمريكي مع اليهود بسبب المعاملة التي تعرضوا إليها من قبل النازيين.
3. نشاط القوى اليهودية و المتعاطفين مع إسرائيل و تغلغلهم في أجهزة الإعلام (2)

إن وسائل الإعلام الأمريكية في واقع الأمر لا تلعب الدور نفسه الذي تلعبه المؤسسات الرسمية ، إلا أنها تكون أداة فعالة يعتمد عليها صناع القرار و لا يمكنهم الاستغناء عنها من أجل تقديم سياستهم بالصورة التي يرونها ملائمة ، و تناول قضايا السياسة الخارجية بالطريقة التي يرون فيها مصالحهم و مصالح حلفائهم مع الأخذ في الاعتبار تأثير الإعلام على تكوين الرأي العام الداخلي و الخارجي، و أهمية ذلك في إضفاء المصدقية على السياسة الخارجية خاصة إذا تعلق الأمر بقضايا حساسة و ذات خصوصية كالصراع العربي الإسرائيلي.

ثانيا: دور الرأي العام الأمريكي

ذكرنا فيما سبق — في الفصل النظري — أن الحديث عن الرأي العام و علاقته بالسياسة الخارجية الأمريكية يثير قضية مهمة، تتمثل في التعارض بين مبادئ الديمقراطية و ما تفرضه من ضرورة احترام الرأي العام من جهة و ما تفرضه فعالية السياسة الخارجية الأمريكية من جهة أخرى ، كما تطرح من ناحية أخرى قضية اهتمام الرأي العام و إيجابيته بخصوص قضايا السياسة الخارجية ، فالمنظومة الديمقراطية في الولايات المتحدة تقضي بضرورة فرض بعض القيود على حركة جهاز صنع السياسة الخارجية ، إذ تكون القيادة السياسية فيها مقيدة

(1) ادموند غريب ، مرجع سابق ، ص ص 206-2005 .

(2) نفس المرجع ، ص 208.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

بإطار واضح من المفاهيم و التقاليد المرتبطة بالأمن القومي من جهة و ممارسة السلطة واحترام المعارضة و الرأي العام من جهة أخرى، فالمبادئ الديمقراطية تنادي بقدرة المواطن البسيط ليس فقط على فهم شؤون السياسة الخارجية، بل على إمكان المشاركة فيها و ما يرتبط بذلك في حق المواطن العادي في أن يكون على علم بقسط أدنى من الحقائق المرتبطة بخلفيات القرار السياسي قبل اتخاذه.

غير أن واقع السياسة الخارجية الأمريكية يدل على أنها بطبيعتها غير ديمقراطية في كل الحالات، فمن ناحية نجد أن صناعتها و إدارتها هي احتكار حكومي، ومن ناحية أخرى فإنها كثيرا ما تتطلب السرعة و المرونة في مواجهة المواقف المختلفة، و من ناحية ثالثة قد تتطلب السياسة الخارجية قدر معتبرا من السرية خاصة في مجال المفاوضات (1)، و فضلا عن ذلك كله فإن الطبيعة المعقدة للسياسة الخارجية و ما يفرضه ذلك من ضرورة أن يكون المعنيون بها من المختصين والخبراء تجعل قدرة الرأي العام محدودة على فهم و استيعاب قضاياها و مشاكلها، و يكون بذلك غير قادر على صياغة البدائل الممكنة لتحقيق المصالح القومية، و بالتالي تبقى عملية السياسة الخارجية حكرا على مجموعة صغيرة من المسؤولين.

و فيما يتعلق بمدى اهتمام و إيجابية الرأي العام الأمريكي فإنه يمكن — حسب Rosenau — التمييز بين ثلاث شرائح هي: صانعي الرأي و هم الذين يملكون الوصول إلى قنوات الاتصال و يؤثرون بذلك في اتجاهات الرأي، و الشريحة الثانية و تشمل الذين تتوافر لهم المعلومات و الاهتمام بمسائل السياسة الخارجية و لكن لا يمكنهم الوصول إلى مراكز التأثير، أما الشريحة الثالثة فتتمثل في الرأي العام الجماهيري و يضم الذين ليست لديهم الفرصة أو الرغبة في المشاركة مسائل السياسة الخارجية (2).

و يعتبر الرأي العام عموما من القوى الداخلية المهمة في الولايات المتحدة، و إن لم يكن هنالك دور بارز و مباشر تلعبه الجماهير الأمريكية في السياسة الخارجية فإن هناك دورا

(1) هالة أبو بكر سعودي، مرجع سابق، ص 127.

(2) نفس المرجع، ص 123.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

غير مباشر و له تأثيره و أهميته بالنسبة للمسؤولين المباشرين عن صنع و تنفيذ السياسة الخارجية.

تعتبر الانتخابات أهم مدخل لهذا الدور الذي يلعبه الرأي العام، فمن خلال الانتخابات يتم اختيار الرئيس و أعضاء الكونغرس المنتخبين، و هؤلاء هم من يؤثر في عملية صنع القرار بشكل مباشر، و لهم الحق في تعيين من يختارونهم في المناصب الحساسة في الحكومة، و الأمر الأساسي هو أن الانتخابات كثيرا ما أدت إلى تغيير القادة الذين يتم اختيارهم من قبل الجماهير الشعبية، مما قد يؤدي إلى تغيير السياسة الخارجية⁽¹⁾، و قد لاحظنا كيف أن بيل كلينتون اعتمد بشكل كبير على الناحين اليهود و تعاطفهم و دعمهم من أجل الوصول إلى منصب الرئاسة، و كيف انعكس ذلك على التعيينات التي أجراها على مستوى إدارته، حيث كان أغلب أعضائها موالين لإسرائيل، و هذا بدوره كان له أثره على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

ويزداد تأثير العام أكثر بعد نهاية الحرب الباردة نتيجة تطور و انتشار وسائل صناعة الرأي العام، و هذا الأمر يجعل صنع القرار الأمريكيين في وضع أكثر حرجا مع القاعدة الشعبية التي تمثلونها، و حتى يعطوا المصادقية و المشروعية لسياستهم خاصة تجاه أولئك المهتمين بالشؤون الخارجية، صار من الضروري الرجوع إلى الاهتمام بدعم و تأييد الرأي العام .

و رغم هذه الأهمية التي يكتسبها الرأي العام الأمريكي إلا أنه و من خلال النظر إلى الواقع الأمريكي فإن هناك مؤشرات على أن تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية محدود جدا، و ذلك لأن المترشحين في الانتخابات نادرا ما يتطرقون إلى السياسة الخارجية في حملاتهم الانتخابية مما يعكس لامبالاة الشارع الأمريكي بذلك، فعلى سبيل المثال لم يشفع لـ: جورج بوش انتصاره في حرب الخليج عندما ترشح لعهدة ثانية، بينما فاز منافسه بيل كلينتون الذي كان قد أكد على معالجة القضايا الداخلية في حملته الانتخابية، و بنفس السياسة استمر لعهدة ثانية، إلا أن الاستثناء لدى الساسة الأمريكيين في حملتهم الانتخابية و فيما يتعلق بالسياسة الخارجية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فإنهم يؤكدون دائما على استمرار الدعم الأمريكي

(1) أسيا الميهي، مرجع سابق، ص 87.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

لإسرائيل لإدراكهم مدى أهمية الصوت اليهودي و دور الجماعات اليهودية في ترجيح كفة الانتخابات لصالح مرشح على حساب آخر و كان ذلك واضحا في حالة الرئيس بيل كلينتون.

جانبا آخر يجب أن نشير إليه عند حديثنا عن دور الرأي العام، و هو أن هذا الأخير إضافة إلى ابتعاد اهتمامه عن قضايا السياسة الخارجية، فإنه يقع تحت تأثير وسائل الإعلام و صناع الرأي من المسؤولين الحكوميين و جماعات الضغط، و بالتالي فإن الصورة السائدة لدى المواطن الأمريكي العادي عن الصراع العربي الإسرائيلي يكتسبها عن طريق تأثير هاتين الجهتين، و نتيجة لذلك فإنه كثيرا ما كان أغلب الأمريكيين يقلون في استطلاعات الرأي بأن تعاطفهم مع إسرائيل هو الأرجح (1).

و خلاصة ما ذكرنا حول دور الإعلام و الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، هو أن هذه الجهات تؤثر و تساهم في رسم و تنفيذ قرارات السياسة الخارجية بصورة غير مباشرة، و غالبا ما يتحكم في هذا الدور صناع القرار المباشرين الذين يسيطرون على صناعة الإعلام الأمريكي و يستحذون على صناعة الرأي العام، و هذا ما يجعل وسائل الإعلام و الرأي العام في أغلب الأحيان مجرد وسائل دعم تسيطر عليها المؤسسات الرسمية و تستخدمها لتعزيز مواقفها و سياستها التقليدية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

المطلب الثاني: تأثير اللوبي الإسرائيلي على السياسة الخارجية الأمريكية

بعد نهاية صراع الحرب الباردة ثم النجاح الذي حققته الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية أصبحت المصالح الأمريكية و حلفائها أكثر أمنا، و لم يعد لإسرائيل تلك الأهمية الإستراتيجية التي كانت تلعبها أثناء الحرب الباردة كوكيل للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، خاصة و أن هناك من يرى بأنه بعد هذه المرحلة بات واضحا أنه لا توجد صلة واضحة بين إمدادات النفط و مسار الصراع العربي الإسرائيلي (2) خاصة بعد نهاية حرب

(1) ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص36.

(2) ويليام كوانت، عملية السلام: الدبلوماسية الأمريكية و النزاع العربي الإسرائيلي منذ 1976، مرجع سابق، ص 553 .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

الخليج بتلك الطريقة، و بالتالي ما الذي يفسر استمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل في ظل هذه التغيرات الجديدة؟

و في ظل الرأي الذي يقول بتراجع فكرة أن إسرائيل رصيد استراتيجي بالنسبة للولايات المتحدة، صار العديد من الباحثين يرجعون في تفسيراتهم إلى الدور الذي يمارسه اللوبي الإسرائيلي (*) لتفسير استمرار نسق السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، خصوصا و أن الذي يميز النظام السياسي الأمريكي هو انقسام مؤسسات صنع القرار و التنافس البيروقراطي فيما بينها، مما يوفر العديد من الطرق للتأثير في العملية السياسية في مستواها الداخلي و الخارجي، و نتيجة لذلك تستطيع جماعات الضغط و أهمها اللوبي الإسرائيلي أن تؤثر في تشكيل هذه السياسية بطرق مختلفة و كثيرة، كحشد التأييد للأعضاء المنتخبين في الكونغرس و أعضاء الفرع التنفيذي، و التبرع للحملات الانتخابية و التصويت في الانتخابات و التأثير في الرأي العام... (1)

و يندرج اللوبي الإسرائيلي مثله مثل العديد من جماعات الضغط الأمريكية في إطار النظام السياسي الأمريكي الذي يتيح رسميا مثل هذه النشاطات، إلى درجة أنه أصبح هناك العديد من اللوبيات الإثنية التي تمثل أطارا لملء فراغ الهوية الذي يميز المجتمع الأمريكي، و أصبح بذلك لكل أقلية من المهاجرين لوبي خاص بهم ، فنجد هناك اللوبي اليوناني ، اللوبي التركي ،

(*) ترد عبارة اللوبي الإسرائيلي أو اللوبي الصهيوني في العديد من المقالات و الأبحاث المتعلقة بالقضية الفلسطينية و بالصراع العربي الإسرائيلي و العلاقات الأمريكية العربية، دون إيضاح ماهية هذا اللوبي و دون التعريف به و تحديده، و رغم التأثير الكبير الذي يمارسه فإنه ربما يبقى من أكثر العبارات إبهاما و عمومية في قاموس الصراع العربي الإسرائيلي، و مع أن تشكيل اللوبي الإسرائيلي و منظماتها على نحو فعال في الولايات المتحدة يعتبر حديث نسبيا (منذ مطلع الخمسينيات) ، إلا أن سعي الحركة الصهيونية للتأثير على صنع القرار الأمريكيين بمختلف الوسائل يعتبر قديما و ملازما لفكرة الصهيونية العالمية منذ نشأتها في القرن التاسع عشر، و قد ركز اليهود بصورة خاصة على الدور الأمريكي ابتداء من أواخر الثلاثينات إثر التآزم الذي طرأ على علاقتهم مع بريطانيا نتيجة الثورة الفلسطينية 1936 و التي أعقبها الكتاب الأبيض البريطاني عام 1939 ، و بعدها بدؤوا يدركون الأهمية المستقبلية للدور الأمريكي العالمي، لذلك تركزت جهودهم بشكل واضح على التغلغل إلى مختلف المراكز الحساسة للتأثير في عملية صنع القرار الأمريكي و تطويرها لخدمة و دعم المشروع الصهيوني على الأراضي الفلسطينية . أنظر:

فيصل أبو خضرا، تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا: العلاقة الأمريكية الصهيونية في ماضيها و حاضرها و مستقبلها، الطبعة الأولى. د د ن، الرياض، 1992، ص 105.

(1) جون ميرشايمر و ستيفن وولت، اللوبي الإسرائيلي و السياسة الخارجية الأمريكية، متحصل عليه من:.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

اللوبي البولوني ، اللوبي العربي ، ... الخ، إلا أن نشاط اللوبي الإسرائيلي يفوق بكثير اللوبيات الأخرى التي بعضها لا يكاد يعرف.

و في سياق البحث في مفهوم اللوبي الإسرائيلي في واشنطن و محاولة التعريف به هناك نظرتان ، فاللوبي الإسرائيلي من وجهة نظر رسمية — و وفقا لأحكام قانون 1946 — هو اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة **The American – Israel Public Affairs Commette** ، و تعرف اختصارا بمنظمة أيباك (AIPAC) ، و هي الممثلة للمصالح الإسرائيلية لدى الكونغرس الأمريكي، و قد أنشئت عام 1954. و من جهة أخرى و وفقا لنظرة فعلية نجد أن منظمة أيباك ليست إلا المنظمة الرسمية و المركزية التي تصب فيها نشاطات مئات التنظيمات و الجمعيات اليهودية (1) السرية و العلنية و التي من أبرزها مجلس المنظمات اليهودية، و المجلس الوطني الاستشاري للعلاقات اليهودية، و مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية ، و تمارس هذه المنظمات اليهودية و غيرها دورا مهما و فعالا و نشاطات واسعة لصالح إسرائيل، و رغم أنه ليس لها صفة اللوبي الرسمي إلا أنها في الأخير لها نفس أهداف الأيباك.

و في دراسة منشورة عام 1988 يقدم الباحث اندريه كاسي وصفا مفصلا للوبي الإسرائيلي ، و يبين أن هذا الأخير يقوم على ركائز ثلاث ، الركيزة الأولى هي مؤتمر الرؤساء الذي يضم المنظمات الـ: 35 الأكثر نفوذا في البيت الأبيض و الكونغرس و إدارات الولايات المتحدة في الخارج بما في ذلك إسرائيل ، أما الركيزة الثانية لهذا اللوبي فهي المجلس الوطني الاستشاري للعلاقات اليهودية، و الذي يضم 102 منظمة محلية و 11 منظمة وطنية بعضها ممثل في مؤتمر الرؤساء ، و الركيزة الثالثة هي منظمة الأيباك التي تمارس وظائف اللوبي الرسمية خاصة مع الكونغرس الأمريكي (2) ، و تعتبر منظمة أيباك صاحبة السلطة الغالبة و التأثير الأكبر و الحاسم ضمن جماعات الضغط التي تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية .

(1) نفس المرجع، ص 120.

(2) نفس المرجع ص ص 122-123.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

إن هذا اللوبي يجمع أغلب اليهود الأمريكيين من ذوي النفوذ و السلطة و الإمكانيات الاقتصادية و الاجتماعية ، و من خلال ذلك يرى اليهود الأمريكيون أن لهم دورا مهما في إطار الحركة الصهيونية العالمية فهم أرادوا أن يبقوا في أمريكا بشرط أن يستخدموا نجاحهم و مواردهم لمساعدة الدولة اليهودية (إسرائيل)، و يذهب فواز جرجس إلى أن شعورهم بالذنب لعدم التحاقهم بإحوتهم في الدين، و شعورهم الحقيقي بالصلة مع اليهود الإسرائيليين قد ألهم اليهود الأمريكيين بأن يلتزموا التزاما عميقا بإسرائيل و يكرسوا أنفسهم لخدمتها (1)، و مع التأكيد على حاجة إسرائيل للمساندة الأمريكية أصبح من الواجب على اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة أن يركز على التأثير المستمر و الفعال في السياسة الخارجية الأمريكية حيال الصراع العربي الإسرائيلي، و تركز هذا التأثير أكثر شيء على الجهات المهمة و الحساسة كالكونغرس و مؤسسة الرئاسة الأمريكية.

أولا: التأثير من خلال الكونغرس:

يعتبر الكونغرس الأمريكي المؤسسة الأكثر قابلية للتأثير الآتي من جهة اللوبي الإسرائيلي بفضل سياسات و نشاطات اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة (أيماك) داخل المؤسسة التشريعية، حيث عقدت ما يزيد عن 2000 اجتماع مع أعضاء الكونغرس في مناسبات مختلفة سواء في ولاياتهم أو في العاصمة الفيدرالية (2)، و يسعى اللوبي الإسرائيلي في تأثيره على السلطة التشريعية إلى تحقيق أهداف أساسية في إطار السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي أهمها:

1. ضمان استمرار المساعدات المالية الأمريكية لإسرائيل و التي تفوق 03 مليار دولار سنويا.

2. معارضة بيع الأسلحة أو ما من شأنه تقوية الدول العربية و المعادية لإسرائيل.

3. الضغط من أجل وضع الحركات المقاومة للاحتلال الإسرائيلي على رأس القوائم الإرهابية و محاربتها و تجفيف منابع تمويلها، كما تضغط من أجل سن التشريعات التي تسمح لإسرائيل بتنفيذ الاغتيالات السياسية لممثلي المقاومة الإسلامية مثلما حدث مع

(1) فواز جرجس، مرجع سابق، ص 97.

(2) محمود حمد، مرجع سابق، ص 84.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

الشيخ أحمد ياسين و عبد العزيز الرنتيسي من حركة حماس و آخرين من الجهاد الإسلامي أو من حزب الله في لبنان (3).

و قد عرفت هذه الأهداف تحقيقا فعليا على أرض الواقع بفضل العلاقات الوثيقة و الفعالة التي ربطها اللوبي الإسرائيلي مع الأعضاء و المساعدين الرئيسيين في الكونغرس، بحيث يسمح له ذلك بأن يراقب عن كثب ما يحدث من تطورات (1) ليقوم فيما بعد باقتراح السياسات و التوجيهات التي يراها في صالح إسرائيل بفعالية كبيرة، و من أجل ذلك عملت منظمة أيباك على تأمين تمثيل المؤيدين لإسرائيل في الكونغرس، و بالرغم من أن نسبة اليهود بين أعضاء الكونغرس تزيد كثيرا عن نسبة عددهم بين مجموع السكان، فإنه ليس كل أعضاء الكونغرس اليهود شديدي التأييد لإسرائيل، لذلك فإن الهدف الأول لـ: أيباك هم الأعضاء غير اليهود سواء كانوا جمهوريين أو ديمقراطيين (2)، و بالمقابل فإن ناقدتي إسرائيل في الكونغرس يُرغمون على السكوت أو الانسحاب بسبب الضغط الممارس عليهم و خوفهم من أن يتهموا بمعاداة السامية، و هو ما يبين أن هذا اللوبي يمثل أقوى تغلغل في السياسة الأمريكية نتيجة نفوذه التشريعي في الكونغرس (3)

و في الدراسة التي قدمها كل من جون ميرشايمر John Mearsheimer و ستيفن وولت Stephen M. Walt عن اللوبي الإسرائيلي و السياسة الخارجية الأمريكية، يؤكد الباحثان بأن من أعمدة فعالية هذا اللوبي هو نفوذه في الكونغرس، و نجد هذا الأخير يناقش مختلف القضايا، لكن عندما يتعلق الأمر بما يخص الشأن الإسرائيلي فإنه لا يكاد يكون هناك نقاش أبدا، و ذلك لأن هناك عدد كبير من الأعضاء في الكونغرس إما يهود موالين لإسرائيل أو غيرهم ممن تم إخضاعهم و التأثير عليهم ليكونوا في صفهم، و قد بلغ الأمر إلى أن أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي يصرح بأن أولويته الأولى في السياسة الخارجية الأمريكية هي حماية إسرائيلي (4).

(3) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص ص 217-218.

(1) نديم البيطار، مرجع سابق، ص 35.

(2) جورج دوغلاس و بول دوغلاس، مرجع سابق، ص 247.

(3) نديم البيطار، مرجع سابق، ص 32.

(4) جون ميرشايمر و ستيفن وولت، مرجع سابق.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و يوضح دوغلاس بلومفيلد — أحد الأعضاء السابقين العاملين في أيباك — حجم تأثير هذه الأخيرة في الكونغرس الأمريكي، إذ يؤكد أنه صار من المؤلف و المتعارف عليه أن يرجع أعضاء الكونغرس و مساعدوهم إلى منظمة أيباك، و ذلك عندما يحتاجون إلى المعلومات و خدمة الأبحاث التابعة للكونغرس أو أعضاء إحدى اللجان أو خبراء الإدارة، و أهم من ذلك يذكر أن أيباك كثيرا ما يجري الاتصال بها لصياغة الخطاب، و العمل على التشريعات، و إبداء المشورة بشأن التكتيكات و تنظيم الأصوات الانتخابية... إلخ، و جوهر الأمر أن هذه المنظمة تمسك بخناق الكونغرس الأمريكي (1) ، و بالتالي فإن الفرع التشريعي للحكومة الأمريكية ملتزم بصفة مطلقة بدعم إسرائيل، و مثلما قال السناتور الديمقراطي السابق إرنست هولينج عندما كان على وشك التخلي عن منصبه : " إنك لا تستطيع أن تكون لك سياسة إزاء إسرائيل غير تلك التي تعطيك إياها منظمة أيباك هنا " (2) .

و تعرف منظمة أيباك نشاطا كبيرا مستمرا لتقوية نفوذها في الكونغرس، حيث تعير اهتماما خاصا لأعضاء و موظفي لجان مجلس الشيوخ المناط بها الشؤون و القضايا السياسية الخارجية التي تهم إسرائيل خاصة موضوع المعونات الخارجية، و تنفرد من بين اللجان كل من لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي و لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ باهتمام مميز من قبل أيباك، و لذلك تتابع الأعمال فيهما بانتباه و حرص شديدين، حيث بحضور مندوب خاص عن أيباك الاجتماعات المفتوحة لهاتين اللجنتين، و يناقش أعضاءهما باستمرار لتقرير رغبات اللوبي، في حين يحضر الاجتماعات المغلقة لمجلسي الشيوخ و النواب بعض الموظفين و المساعدين المعروفين بمواليتهم لإسرائيل (3) .

يظهر هذا النشاط مدى الاهتمام الكبير الذي يولييه اللوبي الإسرائيلي لضرورة أن تكون سياسة الكونغرس فيما يتعلق بالشؤون الخارجية موالية لإسرائيل، كما يبرز لنا كذلك مدى التنظيم الذي تتمتع به منظمة أيباك و مقدرتها على الولوج إلى عمق المؤسسة التشريعية الأمريكية، فيركز أعضاء الكونغرس من اليهود و الموالين لإسرائيل

(1) نفس المرجع

(2) نفس المرجع

(3) جورج بول و دوغلاس بول، مرجع سابق، ص 248.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

تركيزا خاصا على الدخول إلى اللجان البرلمانية المعنية بقضايا السياسة الخارجية و الشرق الأوسط و الميزانية و الدفاع، فيصل عددهم أحيانا إلى ربع أعضاء اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية، كما يصل أحيانا إلى ثلث أعضاء اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط (4).

هذا النفوذ الكبير الذي يتمتع به اللوبي الإسرائيلي في الكونغرس، يجعلنا نميل إلى اعتبار أن الضغط الذي يمارسه الجهاز التشريعي على الرئيس عندما يتعلق الأمر بقضية الصراع العربي الإسرائيلي، إنما هو ناتج عن ضغط و قدرة اللوبي الإسرائيلي على التأثير في أعضاء الكونغرس أكثر من أي جهة أخرى، سواء من خلال الدعم المالي و السياسي و الإعلامي الذي يمكنهم من الوصول إلى السلطة التشريعية، أو من خلال القدرة على توفير المعلومات المهمة بأفضل و أسرع الطرق خاصة فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط، مما يعني بأن أيباك هي التي تصنع الرأي داخل أروقة الكونغرس الأمريكي من خلال ما توفره من المعلومات التي تعكس رؤيتها الخاصة، فتصور إسرائيل على أنها دولة ديمقراطية تناضل من أجل الحفاظ على أمنها و أنها هي الحليف الإستراتيجي الدائم لأمريكا، في حين تقدم العرب و الفلسطينيين على أنهم معادون للغرب، متخلفون، مصدر للعنف و الإرهاب... الخ.

و بهذا فإن الكونغرس الأمريكي و من خلال البنية التي يتحكم في تشكيلها اللوبي الصهيوني بنسبة كبيرة ابتداء من انتخاب أعضائه إلى إصدار القوانين و التشريعات، يبدو أنه تحت واقع لا يمكن تجاوزه و هو انفتاحه على نفوذ هذا اللوبي لدرجة أنه في بعض الحالات يصبح شبيها بالكنيست الإسرائيلي، و مع الرأي الذي يقول بتعاظم دور الكونغرس في مواجهة سلطة الرئاسة بعد نهاية الحرب الباردة خصوصا، فإن الرئاسة بالتالي هي الأخرى تكون عاجزة أمام تأثير اللوبي الإسرائيلي سواء التأثير المباشر أو من خلال عجز الفرع التنفيذي عن تجاوز سلطات الكونغرس، و إن كان الكونغرس قد أصبح في الصف الأمامي فذلك يعني أن اللوبي الإسرائيلي نفسه أصبح في الصف الأمامي، و إن كان الكونغرس هو الذي يقود السياسة الخارجية فهذا يعني أن هذا اللوبي هو الذي يقود هذه السياسة (1)

ثانيا : التأثير من خلال مؤسسة الرئاسة :

(4) فيصل أبو خضرا، مرجع سابق، ص 129.

(1) نديم البيطار، مرجع سابق، ص 128.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

يملك اللوبي الإسرائيلي عدة وسائل وطرق للتأثير على مؤسسة الرئاسة الأمريكية من أجل أن تتخذ مواقف وقرارات لصالح إسرائيل في سياستها الخارجية، سواء عن طريق الكونغرس، أو عن طريق العمل على إيصال المؤيدين لإسرائيل إلى المناصب التنفيذية الحساسة، أو باستعمال المال و الإعلام في الحملات الانتخابية الرئاسية إما لصالح المرشح المناسب أو ضد المرشح غير المرغوب.

فالنسبة لاستخدام اللوبي الإسرائيلي للمؤسسة التشريعية نجد أن منظمة أيباك على سبيل المثال قد اعتمدت الكونغرس الأمريكي كألية ضغط على جورج بوش و وزير خارجيته جيمس بيكر، حيث كثفت المنظمة ضغطها على زعماء الكونغرس، و اعتمدت في إستراتيجيتها على إقناع جورج ميتشل زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ و توم فولي رئيس مجلس النواب بالموافقة على طلب ضمانات القروض، و بالتالي وجدت إدارة بوش نفسها أمام الأمر الواقع، إضافة إلى أن منظمة أيباك كانت قد توعدت أي عضو سيصوت لصالح تأجيل الضمانات يعتبر بأنه عدو لإسرائيل⁽¹⁾، و يعتبر الإرهاب الفكري و الدعائي من الأساليب الفعالة التي يعتمدها اللوبي الإسرائيلي في عملية الضغط التي يمارسها على صناعات القرار الأمريكيين، و قد تعرض جيمس بيكر للعديد من الاتهامات إلى درجة وصفه بأنه كان معاديا للسامية بعد أن تحدى حكومة الليكود من أجل أن تظهر حسن النية في عملية السلام⁽²⁾.

و بالرغم من أن بوش كان كثيرا ما أكد استمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل سواء من خلال خطاباته الرسمية أو من خلال سياساته العملية، إلا أن اللوبي الإسرائيلي لم يتساهل مع مجرد مناقشة طلب القروض الإضافية التي أرادتها إسرائيل لتوطين المهاجرين السوفييت، و كان موقف بوش عبارة عن إجراء شكلي ليوهم العرب بأن الولايات المتحدة تتبع سياسة محايدة، و مع ذلك فإنه لم يتمكن من الفوز بعهدة رئاسية ثانية بسبب ذلك رغم إنجازاته في حرب الخليج و تأكيده على الدفاع عن أمن إسرائيل من أي تهديد عسكري عربي.

(1) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 228.

(2) فواز جرجس، مرجع سابق، ص 67.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

لقد برهن اللوبي الإسرائيلي بأن سياسة المحاباة و الترغيب و التأييد دون أدنى شروط هي السياسة الأخرى بالقادة الأمريكيين إتباعها مع إسرائيل، و أن هذه الأخيرة لا تقبل أدنى تهريب و لا تخضع لأي شروط و لن تتسامح مع مجرد المحاولة أو التظاهر باستخدام سياسة العصا، لذا فقد رأينا أن الصوت اليهودي ذهب لصالح المرشح الديمقراطي بيل كلينتون الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة لعهدتين متتاليتين بفضل الدعم اليهودي .

كان بيل كلينتون قد تلقى دعماً سخياً من اليهود في الولايات المتحدة، إذ بفضلهم و بفضل تمويلهم لحملة الانتخابية استمر لعهدتين على رأس السلطة الأمريكية، و في مقابل ذلك كانت إدارة كلينتون الإدارة الأمريكية الأكثر يهودية في القرن العشرين⁽¹⁾ ، فعندما تولى كلينتون مهامه كرئيس أجرى سلسلة من التعيينات التي شملت العديد من اليهود و الذين كانوا على رأس مناصب حساسة في البيت الأبيض، و عمل هؤلاء على دفع السياسة الخارجية الأمريكية في الاتجاه الذي تعهد به كلينتون بأنه لن يتخلى عن إسرائيل ، و لم يعد خافياً على أحد أن إدارة كلينتون أصبحت رهينة التصور الذي يقدمه اللوبي الإسرائيلي من خلال الموالين له في البيت الأبيض، و أكثر من ذلك فإن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي صارت مبنية على وثيقة إسرائيلية قدمها السفير الإسرائيلي بالولايات المتحدة زلمان شوفال، و القائمة على الثوابت التالية:

- دعم التحالف التاريخي و الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل بما يخدم المكانة المميزة لإسرائيل في العالم.
- التزام الولايات المتحدة بمنع الدول العربية و الإسلامية من الوصول إلى امتلاك السلاح النووي أو أي سلاح فعال.
- تأييد مفاوضات السلام بين إسرائيل و الفلسطينيين بدون فرض الحلول على إسرائيل.
- تعهد إدارة كلينتون بمنح إسرائيل تقنيات عسكرية عالية من خلال مشاريع مشتركة بين البلدين في مجالات البحوث و التطوير العسكري و اللوجستيكي.

(1) مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 228.

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

- توفير الولايات المتحدة لغطاء دبلوماسي و أممي دولي لإسرائيل في منظمة الأمم المتحدة (2).

و من الواضح أن النفوذ الواسع الذي اكتسبه اللوبي الإسرائيلي داخل الفرع التنفيذي راجع إلى النشاط الفعال خلال الحملات الانتخابية الرئاسية، حيث يبرز دور و أهمية الناخبين اليهود في مثل هذه الانتخابات أين يلعب المال و الصوت اليهوديان دورا كبيرا في المعارك الانتخابية الأمريكية، و رغم أن نسبة الناخبين اليهود لا تتجاوز 6 %، و مع ذلك فإن دوائر اللوبي الإسرائيلي تركز كثيرا على التصويت اليهودي في هذا الاتجاه أو ذاك، و تضخم إلى حد بعيد أهمية أصوات اليهود في ترجيح الكفة الانتخابية خصوصا عندما تكون المنافسة قوية و فارق الربح أو الخسارة فيها بسيطا، و يظهر بذلك أن الصوت اليهودي هو الورقة الانتخابية الراجحة و الحاسمة في يد اللوبي الإسرائيلي، خاصة في عدد من المدن الكبرى و على رأسها مدينة نيويورك حيث يشكل اليهود أقلية ذات شأن عددي، و الأهم من الشأن العددي هو الموقع النوعي المؤثر الذي يحتله اليهود في الحياة السياسية و النقابية و الفكرية و الإعلامية الأمريكية، حيث يشكل الكثير منهم مفاتيح انتخابية، خاصة مع شبكة العلاقات النافذة التي يمكن أن يشكلها اليهود المسيحيون و المتعاطفون مع اللوبي الإسرائيلي في مجتمع أمريكي ضعيف التسييس عامة و ضئيل التحزب (1).

و إضافة إلى هذا، فإن هذا اللوبي لديه نظام توزيع فعال للإعلام يمتد إلى جميع أنحاء أمريكا، و يربط بشبكة منظمة الجماعات اليهودية و مناصري إسرائيل في كل ولاية و كل منطقة (2) ، كما يدفع اليهود أموالا طائلة للحملات الانتخابية للمرشحين من كلا الحزبين، و قد قدرت صحيفة الـ: **واشنطن بوست** ذات مرة أن مرشحي الرئاسة الديمقراطيون يعتمدون على الأنصار اليهود لتزويدهم بما يبلغ 60 % من الأموال (3).

(2) نفس المرجع، ص ص: 229-230.

(1) فيصل أبو خضرة ، مرجع سابق، ص ص 136-137.

(2) نديم البيطار، مرجع سابق، ص 35.

(3) جون ميرشايمر و ستيفن وولت، مرجع سابق .

الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي

و في نهاية المطاف يأتي الهدف من تسخير هذه الإمكانيات و القدرات من طرف اللوبي الإسرائيلي في المناسبات الانتخابية متمثلا في الحرص على أن يحظى الأفراد الموالون لإسرائيل بمناصب مهمة و أساسية في الفرع التنفيذي. بما يتيح لهم توجيه السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي في المسار الذي يراعي المصالح الإسرائيلية.

و بعد عرضنا لأبرز المحددات الداخلية الرسمية و غير الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية، لاحظنا كيف أن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي تصنع من قبل المسؤولين في البيت الأبيض و في الكونغرس، و هؤلاء بدورهم يتصرفون وفقاً لخبرتهم في حال السياسة الخارجية و توجهاتهم الفكرية و السياسية و انتمائهم الحزبي، كما أنهم غالبا ما يتأثرون بالبيروقراطيات المختلفة المحيطة بهم، إضافة إلى الضغوطات الآتية من الجهات غير الرسمية التي من أبرزها و أقواها تأثيرا اللوبي الإسرائيلي.